

ثبات حروف الوحي ودعوات التغيير دراسة نقدية

د. أحمد علي نعمة
الجامعة العراقية/كلية الآداب

ملخص البحث

تعرّض البحث لبيان أحد أهمّ الجوانب التي تتسمّ بها حروف الوحي التي دوّن بها تراث اللغة ووحى السماء قرآناً وسنةً، وتعرّض لما لثبات تلك الحروف رسماً ونطقاً من أثر عظيم على التراث الذي تحمله، وعرّج على تداعيات الأصوات المنبعثة من هنا وهناك والداعية إلى تغيير تلك الحروف والتلاعب بها، وعلى بعض الإفرازات غير المقصودة التي خطت خطوات نحو ذلك التغيير المحظور؛ فجاء على ثلاثة مباحث، درست في الأول منها أهمّ التحديات الداهمة لحروف الوحي الحكيم وسبل مواجهتها، في حين يعرض المبحث الثاني لأهمّ الأقوال والمزاعم التي تبناها دعاة التغيير، وجاء المبحث الثالث لعرض بعض الأخطاء الفردية والمجتمعية السائدة لطائفة من أحرف الوحي على مستوى الأداء والنطق، أو على مستوى الرسم والكتابة، وأستعرض أهمّ أبعادها الدلالية، وسيقت الخاتمة بعد ذلك لتقبيد أهمّ النتائج التي توصل إليها البحث، متلوّة بسردٍ مُسلسل للمصادر والمراجع التي أفاد منها.

Abstract

In the name of Allah, Most gracious, Most Merciful

Praise be to Allah, the Lord of the worlds, blessing be upon our Prophet Mohammed, his family, relatives and companion.

The research aims to explicit an important side which sustains in extending the significances of the Holy Qurans language and exceeding it over its mere verbal and structural forms.

The research consists of three topics:

The first speaks about the horizon of extension in our glorious Arabic Language and its greatest.

The second exemplifying some analytic examples for the phenomenon of significance-extensity in the Holy Quran.

The third shows a chosen groups of affecting phenomena on significance-extensity extending the semantic horizons and finally the conclusion which contains the main results I have reached with an index of sources and references of the research.

مقدمة

الحمدُ لله ربُّ العالمين، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على نبيِّنا مُحَمَّدٍ الخاتمِ
الأمين وعلى آله وأصحابه وأحبابه أجمعين، وبعد..
فلولا أنْ شَرَّفَ اللهُ ﷻ تلكَ اللغة؛ فأَنْزَلَ بها كتابه الكريم، وقِيَّضَ له
من خلقه من يتلوه صباح مساء، ووعد بحفظه على تعاقب الأزمان، لولا
ذلك كله؛ لأَمَسَت العربية - لغة الوحي - لغةً أثرية دارسة، حالها في ذلك
المصير المأساوي حال لغات العالم الأخرى التي لم تتسنَّ لها، ولم تنتهياً
عواملُ الحفظ والمنعة، ولسادت الفروع واللهجات العربية المُختلفة،
وَأَزْدادتْ - على مرِّ الزمان - نأياً وبعُداً عن أسَّها المتين وأصلها
الرَّصين؛ ذلك أنها كغيرها من سائر لغات البشر خاضعة للتغيُّر والتبدُّل،
وللزوال والفناء.

ومن بين تلك الشُّعاب أنبثقت العربية حاملةً بين أكنافها حروف
الوحي الحكيم، وشقَّتْ طريقها وسط الموانع والسُدود؛ حتى وصلت إلينا
سالمة، ثابتة، شامخة، أبيَّة.. قد أَسْتَمَرَّتْ حَيَّةً أربعة عشر قرناً، وستستمر
في حياتها وعطائها وأزدهارها إلى ما شاء اللهُ ربُّ العالمين، غير آبهةٍ
بما أصاب - وما سيُصيب في قابل الأيام - لداتها من اللغات الإنسانيَّة
الأخرى قاطبة؛ ما دامتْ هي وحدها التي تمَّتْ إلى كتابه العربي المبين
بأواصر القربى ووشائج الرحم، تستمدُّ من ارتباطها به عنصر الحياة؛ ما
دام ذلك الارتباطُ مستمراً، والصلة وثيقة، والاعتصام بحبله المتين شديداً
لا ينفكُّ، وما دام كلُّ واحدٍ منهما يُكَمِّلُ الآخر ويكتمل به.

فلولا القرآنُ المُبين، والديُّنُ المتين، والأدبُ اللفظيُّ الرَّصين؛
لتضافرت أسبابٌ عديدة وتداعت وتكالتبت من كلِّ حَدَبٍ وصَوْبٍ على
تهافت اللغة العربية وضياعها على مرِّ الأيام والأعوام والسنين.. ولولا
القرآنُ العظيم حاضرٌ وسط تلك الأزمان، وعقب تلك النوائب والمُلمَّات
الغلاظ الشداد؛ لاجتاحتها الجوائح، وطوَّحت بها الطوائح، وصاحتُ عليها

النوائح، وصارت كاللغات التاريخية لا تدرس إلّا عند الضرورة، ولا تظهر إلّا في مواضع خاصّة، ولا ينطق بها إلّا بعد مرانّةٍ وتكلفٍ ومُعانةٍ.

فالله ﷻ هو الذي حفظ هذه اللغة، وحماها من الضياع واللآثبات حين

تكفل بحفظ القرآن الكريم، قال ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾ ﴾

[سُورَةُ الْحَجِّ] .. وهكذا كان للقرآن الكريم الفضل الأكبر في حفظ اللغة

العربية وجعلها تستعصي على الذوبان والانقراض والتلاشي.

لقد كان لكتاب الله ﷻ أبلغ الأثر في أن أَسْتَعَصت العربية على كافة

حملات الغزو الفكريّ واللغويّ، وتجاوزت شتى الانكسارات، وبقيت ما

بقي كتابُ الله يُتلى في الغدوّ والآصال، وعادت من جديد تتنفس الصُّعداء

بعمق، وتستعيد رواءها ورونقها.. وبذا أَسْتَمَرَّتْ تلك اللغة الخالدة تتأفح

وتتاضل وتقاوم طوال تلك القرون، وستظلُّ كذلك إلى ما شاء الله ربُّ

العالمين مُحْتَفَظَةً بكلماتها، وقواعدها، وملامحها، وخطوطها العامّة من

غير أن يمسه أحدٌ بأذى أو مكروه، ومن دُونَ أن يُصيبيها تغيّرٌ أو تبديل.

إنّ تلك اللغة التي نتحدث بها اليوم ونتحاور فيما بيننا لو قدّر

لإنسانٍ عربيٍّ مات من خمسة عشر قرناً، ثمّ قيّض له أن يُبعث إلى

مسرح الحياة من جديد؛ لوجدها كما هي بتفاصيلها كافة، لم يُؤثّر فيها

تطاولُ تلك القرون، وتعاقبُ الآماد، وتصاقبُ الأجيال.. وتلك سمة بارزة

من أهمّ سمات تلك اللغة التي أكرمها الله ﷻ، لا نجدّها في اللغات

الأخرى التي أصابها التحريفُ، وطالها التبديلُ، وتطرّق إليها الشكُّ،

وأمتدّت إليها أيدي العبث والتغيير؛ حتى غدا الآتون بعد قرون قليلة

معدودة لا يكادون يفقهون لها قولاً، ولم يعودوا - كما كانوا بالأمس

القريب - يمتُّون إليها بوطيد الرّوابط، ووثيق الصّلات.

تلك هي مزية العربية عن غيرها من اللغات الأخرى، لم تتقلّب،

ولم تتبدّل، ولم تتغيّر.. وكان الفضلُ في ذلك راجعاً للقرآن الكريم، ذلك

الكتاب الوحيد الذي ظلَّ محتفظاً بلغته، وسيظلُّ كذلك محتفظاً بها،

ويحفظها من عاديات الزمن؛ فلا يُصيبها الفناء كما أصاب اللغات من قبلها.. وإذا كانت اللغات الحية في عالم اليوم كثيرة؛ فإنّ الاضمحلال والتلاشي والموت والفناء سيلحقها ويُصيبها حتماً كما أصاب لغاتٍ أخرى في سالف العهود نشأت وترعرعت وشبّت وأزدهرت، ثمّ كبرت وأضحلت وماتت.. وليس كذلك العربية؛ فإنها ستظلُّ باقية ما بقي الليل والنهار؛ لأنها لغة القرآن، وقد كتبتُ بأحرف الوحي الثابتة المحكمة.

إنّ ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم جعلها محفوظة بحفظه، باقية ببقائه.. وسبحان الله القائل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾ ﴾ [شُورَةُ الْحَجِّ]. فمِنْ أهم مظاهر تأثر العربية بالقرآن الكريم وأرتباطها الوثيق به: ذلك التحوُّل من التغيُّر إلى الثبات؛ إذ كانت اللغة العربية قبل الإسلام طليقةً من كلِّ قيد، تستجيب لكلِّ مؤثّر، فلم تُدَوِّنْ، ولم يجتمع الناطقون بها على مثالٍ يحتذونه؛ وهذا من صفة اللغات غير المدوّنة، وانتقلت بعد الإسلام إلى مرحلة جديدة من الثبات والاستقرار، تتناسب ودورها الحضاري الجديد الذي منحها إياه الدِّينُ الإسلاميّ.

ولكنّ هذا وذاك كلّهُ لم يقفْ حائلاً دون إطلاق بعض الأصوات وتبني بعض الدعوات الرامية إلى النيل من أصالة تلك اللغة وإصابتها بمقتل؛ عبر أخذ بعض التدبيرات والوسائل، وسلوك بعض السُّبُل الملتوية، كان من أخطرها الدعوة الصريحة تارة والمبطنة أخرى إلى تغيير بعض حروف الوحي والتلاعب بها؛ بحجّة تيسيرها، وأنّ الدين الإسلاميّ دينٌ يُيسر؛ فلا يشقُّ على غير العربيّ بتعلُّم العربية، زاعمين أن هذا أسرع في أنتشار الإسلام بين العجم، وأكثرُ تحبباً وتزيباً للدين الإسلاميّ في نفوسهم، أو أن يدّعي بعضهم أن اللغة إنما حُفظت لا بسبب أرتباطها بالقرآن؛ ولكن بسبب أنكفائها على نفسها وأنغلاق أهلها عليها، كما هو الحال في اللغة الصينية.. ومن هنا أنطلقت الدّعوات وتعالّت الأصوات ساعية إلى توحيد هذه اللغة مع سائر اللغات الإنسانية الأخرى

في القواعد العامّة، أو الرّسم، أو النطق والأداء، أو ما إلى ذلك، والقضاء على كلّ ميزة ووَاد كلّ خصيصة حبا الله تعالى بها هذه اللغة الكريمة. كما لم يقف ارتباط تلك اللغة الكريمة بالقرآن المجيد حائلاً دون أن يستبدل قومٌ حباهم ربهم وأجتباهم برسالاته وبكلامه تلك اللغة برُفاعاتٍ من هنا وهناك من اللهجات المحلية التي أثّرت فيها عواملٌ كثيرة داخلية وخارجية؛ فطبقتُ جملةً هجائن متباينة وأخلاقٍ غير متجانسة من اللهجات على آي الذكر الحكيم وتلاوته وترتيبه؛ فنجم عن ذلك جملةٌ محاذير لا تخفى على اللبيب الفطن، وأخطاء أدّت إلى قلب الأحكام وتغيير المعاني المعجمية واللغوية والشرعية؛ بل تعدّاه أحياناً إلى معانٍ ومدلولات كفريّة - والعياذ بالله - إذا ما كان التالي للآيات فقيهاً بما يتلوه، قاصداً لمعناه، كما سنتعرف على ذلك في أثناء البحث بإذن الله تعالى.

ومن هنا؛ فقد تطلبت منهجية البحث أن يقوم على ثلاثة مباحث، يستعرض الأول منها أهمّ التحديات الداهمة لحروف الوحي الحكيم وسُئِلَ مواجهتها.. في حين يعرض المبحث الثاني لأهمّ الأقوال والمزاعم التي تبنّاها دُعاة التغيير.. وجاء المبحث الثالث ليعرض بعض الأخطاء الفردية والمجتمعية السائدة لطائفة من أحرف الوحي على مستوى الأداء والنطق، أو على مستوى الرّسم والكتابة، وأسّتعرض أهمّ أبعادها الدلالية، وتقسيمها بشكلٍ عامٍّ إلى أخطاء نحوية، وصرفية، وحُكمية، ولهجية، وأخطاء في التلاوة.. تتلو ذلك خاتمة تتضمّن أهمّ النتائج التي توصّلت إليها، وثبتت بأهمّ المصادر والمراجع التي أفدّت منها في إثراء المادّة العلمية للبحث.. فأقولُ وبالله التوفيق:

المبحث الأول

حروف الوحي - التحديات والمواجهة

إنَّ نواميس الحياة وقوانينها التي يخضع لها الأحياء - جميع الأحياء - من النمو، أو التجدد، أو الاحتضار والاندثار تخضع لها اللغة الإنسانية كذلك؛ بعدّها واحداً من تلك الأحياء التي تدبُّ على سطح تلك البسيطة؛ فهي خاضعة إلى سنة التطور العام، تتغيّر، وتنمو مع نموّ الفكر وتقدّم الزمن، وتتكاثر مثل أيّ كائن حيّ؛ وذلك بما يُستحدث فيها من أساليب جديدة في التعبير، وكلمات أو ألفاظ جديدة تدخل في الاستعمال بطريقةٍ أو بأخرى؛ فتغنى وتتطور.. وفي أثناء ذلك تغيّر كثيراً من بضاعتها؛ فتتحفّف ممّا لم تعدّ الحاجة تدعو إليه، وتضيف ما غدا ضرورياً، وتحورّ من بعض الألفاظ في النطق، أو الإملاء، أو المعنى، أو الاستعمال^(١).

وتعدُّ لغتنا العربية من أكثر لغات الأرض - إن لم تكن أكثرها - تطوراً في تقاليد مفرداتها، ودلالات ألفاظها.. ومن هنا؛ كان للكلمة، والجملة، والتركيب، والسياقات العامّة في العربية قلباً نابض، وحياة متطورة، متجدّدة، وهي أبداً في حركة دائبة في أداء رسالتها، وتغيّر دائم في دلالاتها، وتجدد مستمرّ في طرائق استعمالها.. ومع كلّ تلك التقلّبات والتبدّلات؛ فقد حُفّت تلك اللغة الخالدة من بين سائر لغات الأرض بعنايةٍ إلهية حملتها بأجنحتها الهفافة الرقاق إلى حيث نجوة ودار أمنٍ من المطبّات الخطيرة، والأطوار المتذبذبة، والمخاضات العسيرة التي طالّت أقدانها من اللغات الأخرى؛ فخرجت مُعافاة قد حافظت على قلبها الأول

(١) ينظر: فقه اللغة، للمبارك/ ص ٩٩، واللغة كائن حي/ ص ١٠، و ١٣، و ٢٣، وكلام

العرب - من قضايا العربية/ ص ١٤٤، والمدخل إلى علم اللغة/ ص ١٢١، وفي

فقه اللغة وقضايا العربية/ ص ١٦٣.

الذي صُبَّتْ فيه منذ البداية، واحتفظت بملامحها الرئيسية، وسلمت لها سماتها الأساسية التي أرتسمت بها وعُرفت^(١).

إنَّ ثبات أصوات لغتنا العربية عبر تاريخها الطويل يُمثِّل ظاهرة تثير الإعجاب والدهشة والإكبار إذا ما قورن بما يحدث لأصوات اللغات العالمية الأخرى.. فمن السمات الأساسية التي أتمت بها اللغة العربية لغة الوحي الحكيم: ((احتفاظها بأنسابها اللغوية؛ فلم يعتورها من التغيير في النطق بحروفها ما أعتور سائر اللغات... والسببُ في ذلك: سعة مدْرَجها الصَوْتِيّ... حتى لو أنَّ عريباً جاهلياً بُعث الآن، وسمِعنا نطق بلفظٍ فصيح؛ لفهمه؛ لأنَّ أصوات لغتنا الفصحى لم يطرأ عليها تغييرٌ... ونحن حريصون على تقييد لغتنا في هذه المواطن بالفصحى؛ لئلاَّ يُعترض علينا ببعض التبدُّلات الصَوْتِيَّة في اللهجات العربية المتباينة قديماً وحديثاً، وهذه التبدُّلات شديدة مستهجنة في لهجاتنا الحديثة خاصة^(٢)!!))^(٣).

لقد صارت اللغة العربية الفصحى - وهي لغة مُوحَّدة - بفضل القرآن الكريم مفتاحاً إلى الماضي العربيِّ بكلِّ جوانبه المشرقة؛ ذلك أنَّ ثبات هذه اللغة لا توازيه أية لغة أخرى.. ففي هذا اليوم يمكن لأيِّ عربيٍّ في المرحلة المتوسطة من تعليمه، وبقدر ضئيل من الجهد أن يعبر إلى

(١) ينظر: من أسرار اللغة/ ص ١٤٤، ودلالة الألفاظ العربية وتطورها/ ص ١٤، والتطور اللغوي التاريخي/ ص ٤٠ - ٤١، والترادف في اللغة/ ص ١٩.

(٢) **اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث:** هي مجموعة من الصِّفات اللغوية المنتمية إلى بيئة خاصة، أو هي قيود صوتية تُلحظ عند أداء الألفاظ في بيئة معينة، ويشترك في هذه الصِّفات جميع أفراد البيئة.. وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضمُّ عدَّة لهجات لكلِّ منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية العاملة على تيسير اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض [ينظر: الراموز على الصحاح/ ص ١٣].

(٣) دراسات في فقه اللغة، للصالح/ ص ٢٨٥ - ٢٨٦.

التاريخ العربي الكامل للألف وأربعمائة عامٍ ونيف الماضية من تاريخه العربي.. هل يستطيع الإنجليزي، أو الفرنسي، أو الإسباني عمل ذلك؟! أم هل يستطيع التركي، أو الفارسي، أو الهندي أن يقرأ تاريخ أسلافه أو تراث أمته كما كتب لعهد ما قبل ألف عامٍ مثلاً؟! وحتى خمسمائة عام؟! تتشوّف الأمم وتتمنى - حتى تنقطع بها الأمانى - أن يكون أبناؤها قادرين على دراسة تراثها، ولهذه المدّة الزمنية، أو أقل منها بكثير^(١)!!

ولكنّ هذا الثبات العريق لأصوات تلك اللغة الخالدة لم يستطع أن يقف حائلاً دون حدوث بعض التبدّلات الصّوتية الضمنية الطارئة والحاصلة هنا وهناك في نطق بعض الحروف، والتي منها حرف الضاد - رمز لغتنا العربية وشعارها - لدى بعض اللهجات المعاصرة؛ إذ استحال نطق هذا الحرف المُفخّم دالاً حديثة، أو ظاء؛ كما في نطق عامة أبناء المجتمع العراقيّ اليوم.. وعلى أساس تلك التبدّلات الصّوتية وُجدت الثغرة التي تعالت منها أصوات بعض الباحثين الدّاعية إلى حذف هذا الحرف من رسمنا الكتابيّ العربي، أو تغييره، أو دمجها بغيره؛ لأنه - بحسب رأيهم - ليس حرفاً مُختصّاً بالعرب وحدهم، وهم يرون أنه لغزٌ مُحيرٌ؛ لأنه حرفٌ مُعقّد، بعيد عن الأصوات الطبيعية، أو أنه صوتٌ مجهول، ملتبسٌ بغيره؛ لذا غدا - في نظرهم - شبحاً لحرفٍ مفقود بات يُورقّهم، من الأفضل طرحه وإلغاؤه والتخلّص منه^(٢)!!

وهنا لا محيص لنا أمام تلك التحدّيات الداهمة من معرفة أنّ التطوّر الصّوتيّ في اللغات الإنسانيّة أمرٌ طبيعيٌّ لا يدعو إلى كلّ هذا الحدّ من

(١) ينظر: أزمة التعبير بين العامية والفصحى/ ص ٥٧، واللسان العربي مظهر لغوي للمعجزة الإلهية الخالدة (القرآن الكريم)، ومجلّة الضّاد (العدد الرابع)، ص ٤٥.

(٢) ينظر: العربية أهي لغة الضاد أم لغة الظاء؟! ولغة الضاد أو كلام العرب، وما رأي المجامع والمختصين في مزج الضاد بالظاء؟! نقلاً عن: مجلّة الضّاد (العدد الرابع)، ص ١٣ - ١٤.

القلق وقضّ المضاجع؛ ذلك أنّ التطوّر اللغوي في هذا الجانب - أعني جانب الصّوت - يعدُّ ((أسرع وأكثر تنوعاً من تطوّرهما في جوانب الصيغ، والنحو، والمفردات، والأساليب.. والسبب هو أنّ الجانب المنطوق في اللغة يُمارَس بحرية أكثر من الجانب المكتوب، فضلاً عن أنّ اللغة تصادف في تركيباتها وتجمّعاتها الصّوتية ظروفاً سياقية لا تظهر في الكلام المكتوب؛ ولهذا ينفصل الصّوت عن صورته، ويتطوّر دونها))^(١).

فضلاً عن كون الأصوات المتقاربة المخارج، أو المتحدّة المخرج تتناوب فيما بينها وتتعاور؛ فنجد بعض الأصوات الساكنة في العربية تتناسخ في بعض اللهجات العاميّة، وينوب بعضها محلّ بعض؛ فنجد حرف السين قد تحوّل إلى صاد في بعض المواطن.. فمثلاً في كلمة «ساخن» تحوّل السين في عامّيّتنا إلى صاد؛ فقالوا: «صاخن».. بل ربما نجده قد تحوّل في الفصيحة - كذلك - إلى الصّاد؛ نحو: «صبخة» من «سبخة».. وتحوّل السين في بعض لهجاتنا العاميّة إلى شين؛ فينطقون «سجر»: «شجر»؛ بمعنى: أحمى؛ فيقولون: «شجرت المرأة التّنور».. وتحوّل الضاد إلى ظاء في لهجتنا العراقية في سائر الكلمات المشتملة على الحرف الأول!!

فتحوّل الأصوات وتناوبها وتطوّرهما أمرٌ حادث في أغلب اللغات العالمية، والعربية ليست بدعاً منها إذا ما قلنا بأنها تتميّز بخاصيّة المحافظة على أصواتها بفضل وجود القرآن الكريم يتلى في كلّ الأرجاء وشتى الأوقات.. ولئن أُبدلت بعض الأصوات بأصواتٍ قريبة منها؛ فذلك ناموسٌ طبيعيٌّ في لغات العالم.. أما في العربية؛ فيحدث ذلك بتأثير الصّوت في مجاورة شدّة ورخاوة استعلاءً وأستتقلاً.. باختلاف نطق حرف من حروف اللغة العربية بين أبنائه لظروف عدّة تحكّمت بهذا

(١) دراسة الصّوت اللغوي/ ص ٢١٧.

الخروج عن النطق الموروث؛ منها: البيئة الاجتماعية، وغيرها.. لا يدعونا إلى القول بحذف هذا الحرف أو إبدال ذلك الحرف؛ لأنَّ هذا الأمر حاصلٌ في اللغات الإنسانية، هذا من جانب.. والجانب الأهمُّ والأخطر هو تلك الميزة التي أختصَّت بها العربية؛ وهي أنها لغةٌ ارتبطتْ بالسماء بفضل تمثيلها للقرآن الكريم، فأبى تغييرٍ أو تبديل في حروفها يُؤدِّي إلى تقطيع تلك الرابطة المقدَّسة وتفكيك الصلة بها^(١)!!

ذلك أنَّ التغيير أو التلاعب بأيِّ حرفٍ من حروف اللغة سيؤدِّي حتماً إلى تغيير رسمه ولو بالتدريج، ولا يخفى ما في ثبات الرِّسم على حالته الأولى - أو ما يقرب منها - من فوائد جمَّة؛ فهو يُوحِّد شكل الكتابة في مُختلف العصور، ويُسهِّل تناقل اللغة، ويُمكِّن الناس في كلِّ عصر من الانتفاع بمؤلَّفات أسلافهم وآثارهم.. فلو كان الرِّسم عُرضة للتغيير تبعاً لتغيُّر أصوات الكلمات؛ لغدت كتابة كلِّ جيلٍ غريبة، مُنبَتة عن الأجيال اللَّاحقة له، ولاحتاج الناس في كلِّ عصرٍ إلى تعلُّم طرائق النطق، والإلمام بحالة اللغة في العصور السَّابقة لهم؛ كيما يتمكَّنوا من الانتفاع بما خلفه أسلافهم لهم!! زيادة على ما يُسديه ثبات الرِّسم على حالته الأولى القديمة للباحث والمُنقِّب في علم اللغات وتاريخها من خدمة جليَّة عبر ما يعرضه له من الصُّور الصَّحيحة والأمانة لأصول الكلمات، وما يوقفه على ما كانت عليه أصواتها في أقدم عصور اللغة.. فالرِّسم للألفاظ أشبه شيء من هذه الناحية بالمتحف للأثار^(٢).

من أجل ذلك؛ لم يُعدَّ - ولن يعود - من الضروريِّ بحالٍ أن يرافق تطوُّر بعض الأصوات اللغوية أو تغيُّرها تطوُّراً في رسمها الكتابي؛ لأنَّ

(١) ينظر: علم اللغة، لوافي/ ص ٣٠٨ - ٣١٠، وستبقى العربية لغة الضاد، مجلَّة الضَّاد (العدد الرابع)، ص ١٥ - ١٦.

(٢) ينظر: علم اللغة، لوافي/ ص ٢٨٧، وستبقى العربية لغة الضاد، مجلَّة الضَّاد (العدد الرابع)، ص ١٦.

نطق الأصوات اللغوية خاضع للتطور من جيل إلى جيل.. فجيلنا الحاضر يختلف - نوعاً ما - عن الأجيال السابقة في نطق بعض الحروف العربية.. وهكذا تبقى المسألة نسبية ومرنة إلى حد ما في كل الأجيال. وإذا ما حاولنا تقريب الرّسم الكتابي العربي أو مطابقتها مع نطقنا للحروف العربية في كل جيل يخرج عن نطق أسلافه أو يُخالفه - كما يفعل أصحاب اللغات الأخرى - ؛ لضلّ الحرف العربيّ وضاع وسط تلك المتاهات، ولاندرست معالمه، وأصبحت الكتابة مثل أثواب النساء: مُتغيّرة بحسب [الموضة] مع كل جيل^(١)!!

وهذا هو السبب الرئيس الكامن - بحسب ما أرى - وراء مسألة كون الرّسم القرآني الشريف توقيفياً؛ إذ لم يُمنح أحدٌ الحق في إجراء أيّ تعديل أو تغيير عليه؛ تلافياً للاختلافات وتعدّد الآراء، وتباين وجهات النظر التي لا حدّ لحدّها، ولا قِبَل لردّها، وترفعاً عن جملة الأسباب التي ذكرتها آنفاً، وحفاظاً - بالنتيجة - على النصّ الكريم ولُغته المقدّسة في أن واحد من الفوارق والطوارق.

إنّ الأصوات اللغوية لا تجمّد على حال واحدة مُعيّنة عبر الأجيال في بعض مواطنها؛ إذ قد يُصيبها التغيّر متأثرة بعوامل كثيرة؛ كالتطبيعية، والاجتماعية، واللغوية.. فبفعل هذه العوامل يسقط من اللغة بعض أصواتها القديمة، أو يُضاف إليها أصوات جديدة، وأحياناً تستبدل اللغة ببعض أصواتها أصواتاً أخرى، أو قد تتحرف بعض الأصوات عن مخارجها القديمة، وقد تمرّ الأصوات اللغوية بأكثر من هذا.. في حين يبقى الرّسم الكتابي في ذلك كلّ - وغيره - ثابتاً، مستقراً، لا يُساير النطق في تطوّره، يبقى ثابتاً على صورته التي كانت عليها أصواتها،

(١) ينظر: الأجدية العربية متكاملة وصالحة، مجلّة المجمع العلمي العراقي (المجلد ٣١ - ٣)، ص ٤٤٤، ومجلّة الضّاد (العدد الرابع)، ص ١٦ - ١٧.

وليس على الصورة التي آلت إليها تلك الأصوات المتقلّبة التي لا تعرف ثباتاً ولا قراراً بحالٍ من أحوالها على مرّ العصور والأجيال^(١).

إذن؛ فالقول بدمج حرفي الضاد والطاء برسمٍ كتابيٍّ واحدٍ قولٌ لا يخلو من المخاطر التي تهدّد رسمنا الكتابيٍّ؛ لأنه يفتح البابَ على مصراعيه - بل يكسره كسراً - ليأذن للأدعياء من دُعاة التغيير في كلِّ عصرٍ أو مصرٍ أو زمانٍ - الذين طالما حشروا أنوفهم وخراطيمهم فيما يعينهم، وما لا يعينهم - بالدخول من غير استئذان، والمطالبة بحذف هذا الحرف، ودمج ذلك، وتغيير هذه الصيغة، ورفع تلك؛ بدعوى المطابقة بين رسم الحرف ونطقه!!

وإذا نحن أنعمنا النظر في واقع نطق حروفنا في وقتنا الحاضر وما هي عليه من العاميّة والتهاون في أداء الصفات والمخارج، ونزلنا - تبعاً لذلك - على رأي أولئك الناعقين؛ لاحتجنا إلى حذف العديد من تلك الحروف أو دمجها وتقليصها؛ وذلك لاختلاف النطق بها باختلاف اللهجات العربية وتعدّدها.. وهذا شططٌ جدُّ خطير على اللغة ورسمها، قد يُؤدّي في نهاية المطاف - فيما لو أصحنا إلى من يرطنون حولنا من أرباب تلك الدّعوات المُغرِضة الهدّامة - إلى تغيير ملامحها، وبالتالي مسخها!!

فمن المُتعارف عليه ((في كثيرٍ من اللغات من مخالفة النطق الكتابة؛ ممّا يعني - في بعض أمثله - تطوّر النطق وبقاء الهجاء القديم... وقد يحدث تطوّرٌ صوتيٌّ في اللغة في حقبة معينة، أو في إقليم معين بسببٍ خارجٍ عن اللغة؛ عن طريق تأثر أصوات لغةٍ بأصوات لغةٍ

(١) ينظر: علم اللغة، لوافي/ ص ٢٧٥، وستبقى العربية لغة الضاد، مجلّة الضاد (العدد الرابع)، ص ١٧.

أخرى أنتقل إليها المجتمع أو أحتكَّ بها ((^(١))، ولم يسمح ذلك التآثر قطُّ بتأثر الرّسم، أو خضوع الكتابة للتغيير كما تأثر وخضع الصّوت؛ فلا بدّ من الفصل بين ظرفيهما وحاليهما، وتحميل كلٍّ منهما ما يحتمل، لا ما لا طاقة له به.

لقد تنبّه العربُ منذ القدم إلى اختلافهم في النطق بحرف الضاد وهم أهلُه؛ لصعوبة مخرجه، ومع ذلك؛ لم نسمع أو نقرأ لأحدٍ منهم دعوة إلى حذف هذا الحرف من رسمهم الكتابي، وأهلُ مكة أدري بشعابها، وربُّ الدار أدري بما في الدار؛ ذلك أنّ التاريخ اللغوي لمعظم اللغات الإنسانية يثبت حقيقة لغوية لا تقبل الشكَّ أو التأويل؛ مفادها: أنّ الحدث اللغويّ المنطوق يختلف نوعاً ما عن رمزه المكتوب.. والعربية لم تكن بدعاً من اللغات؛ وإن أمتلك واقعاً تاريخياً جعلها تنماز عن اللغات العالمية، ((جعلها كشجرة عظيمة تضرب جذورها في أعماق الأرض، وتنمو أغصانها وتمتدُّ في كلِّ اتجاه، وهي ثابتة في موضعها لا تبرحه ((^(٢).

وبهذه الحقيقة اللغوية التاريخية التي أنماز بها العربُ عن سائر أهل لغات الأرض - بتمييزهم بنطق هذا الحرف في مرحلةٍ من مراحلهم التاريخية - تبقى العربية لغة الضاد، فضلاً عن كونها لغة الظاء، والعين، والحاء... وعلينا أن نسقط من حساباتنا تهويلَ المؤلّفين باختلاف نطق الحروف؛ فإنّ الملايين من أبناء العربية يكتبون الجيم - مثلاً - بشكلها الأبجدي المعروف، وينطقها كلٌّ منهم على حسب منطقته الذي نشأ عليه

(١) دراسة الصّوت اللغوي/ ص ٣٢٣-٣٢٤، وستبقى العربية لغة الضاد، مجلّة الضّاد (العدد الرابع)، ص ١٧.

(٢) أصوات العربية بين التحوّل والثبات/ ص ٢٦٨، وينظر: طرق تنمية الألفاظ في اللغة «معنى القول المأثور - لغة الضاد»، ص ١١٦ وما بعدها، وستبقى العربية لغة الضاد، مجلّة الضّاد (العدد الرابع)، ص ١٧-١٨.

وَأَعْتَادَهُ^(١)، وليس في شيءٍ من ذلك ما يدعو إلى تغيير شكل الحرف، ولا إلى تغيير قواعد الكتابة؛ وإنما هي عاداتٌ تعرف ويُحسبُ حسابها من غير مشقة، ولا كلفة، ولا تكلف، ولا تحميلٍ للأمر فوق طاقته، كما نرى ونسمع كلَّ يومٍ منذ قرونٍ وأجيالٍ، وكما هو معهودٌ ومتواترٌ في كلِّ لغةٍ من لغات الحضارة بين المكتوب والمفروض.. ومن راقب ذلك في أختلاف النطق الأمريكيِّ، والنطق الانجليزيِّ، والنطق الفارسيِّ، والنطق الهنديِّ... لم يكثرث لذلك التهويل الذي لجَّ فيه الشاكُّون والمُشكِّكون من المُعرِّضين والمُعرِّضين^(٢)!!

وفي هذا السياق يقول أستاذنا الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي رحمه الله: ((إننا لنعجب أشدَّ العجب حين نرى مُشكلاتٍ عويصةً تكتنف لغاتِ العالم جميعها؛ كتعدُّد أشكال حروفها، أو كثرة عدد حروفها، أو صعوبة ضبط إملائها، أو نطق أصواتها، أو كثرة تغْيُر الصَّوت الواحد في مواضع مُختلفة من المفردات.. إلى غير ذلك ممَّا يقع مثله في لغات العالم.. فالحرف (C) مثلاً قد يكون (k) في موضع، وقد يكون بصوت الـ(S) بموضع آخر، وقد يكون مع الـ(h) بصوت الشين العربية، أو بصوت الجيم الآرية، وقد يكون الـ(h) مع الـ(t) بصوت الذال (the)، أو يكون بصوت التاء (third).. وما يمكن أن يقال هنا في هذه الأصوات يقع في أصواتٍ أخرى في الإنجليزية والألمانية والفرنسية.. وكلُّ ذلك لا يعدُّه أبناء تلك اللغات مُشكلةً؛ بل يعدُّونه قواعد لغتهم، ويلزمونه أبناءهم ليتعلَّموه ويُمارسوا نطقه وكتابته!!

(١) فمثلاً ينطقها عربيُّ العراق: (ج)، وينطقها عربيُّ الخليج: (ي)، وينطقها عربيُّ مصر: (ك).. وهكذا، كما سنتبيَّن ذلك في الصَّفحات اللاحقة.

(٢) ينظر: أشتات مجتمعات في اللغة والأدب/ ص ٤١ - ٤٢، وستبقى العربية لغة الضاد، مجلة الضاد (العدد الرابع)، ص ١٩.

أما نحن؛ فقد وجدنا في خطنا، وكتابتنا، وأحرفنا، وتراكيب لغتنا، وأصواتها.. ما لم يجدهُ أعداءُ اللغة من الأوربيين أنفسهم، فلماذا هذه المواقف؟! وهل الإخلاصُ حقاً هو الذي يفرض علينا أن نصطنع المشكلات، ونخلق العراقيل في سبيل لغةٍ عاشت آلاف السنين منذ عهدٍ غابرة في التاريخ في موطنها الأصليّ - جزيرة العرب - ثمَّ خرجت مع القرآن العظيم تجوب الأرض، وتنقل إلى البشرية مبادئ الحق والعدل.. حتى يومنا هذا؟! فلم تهش، ولم تضعف، وواكبت التطورات، والثقافات، والحضارات، وعبرت عنها، ونقلت مضامينها من أجيالٍ إلى أجيال، وما تزال تقدّم العون، وتسعف المحتاج إلى ما يُوفي حاجته من مفردات الحضارة المعاصرة وتقنياتها المتنوّعة.

إنّ ما يخلّقه بعضُ المشبوهين في السنوات الأخيرة من مشكلاتٍ حول العربية إنما هو استجابة واضحة لطموحات المغرضين... إنَّ مثل هؤلاء مدفوعون بدوافعٍ مختلفة، تهدف جميعاً إلى طعن لغة القرآن التي تمثل ركيزة وحدوية تجمع العرب الناطقين بها تحت لوائها وفي ظل سيادتها؛ بل إنها أداة جعل العرب الموحّدين على صلةٍ دائمة بشعوب الأرض التي تنطق بها، وتحترم كيانهم ووحدهم^(١).

فهلّ للباحث المدقّق، والدارس المحقّق الحق أن يمرّ بتلك الحقائق الحقيقية بالوقوف والتدبّر، والأحكام الصريحة الثابتة مرور الكرام، ثمّة يقول لا تعينني؟! وهل يجدرُ به أن يتعافل عنها، أو يتناساها، أو ينتكّر

(١) لماذا يدعون إلى تغيير الحرف العربي؟! مجلة الضّاد (العدد الثالث)، ص ٧٨، وينظر: ص ٧٥-٨٤، وللمزيد حول هذا الموضوع الخطير تنظر المصادر الآتية: الحيوان (٢/ ١٥٨)، ودراسات في حضارة الإسلام/ ص ٤، والعراق في مواجهة التحديات (٢/ ٢٢٣-٢٢٥، ٢٣٢، و٣٧٦)، والحفاظ على سلامة اللغة العربية (مجلة الضّاد/ العدد الثالث)، (ص ٩-١١)، والإسلام والكتابة العربية (مجلة الضّاد/ العدد الثالث)، ص ٢٣.

لمضامينها، أو يزهد فيها، أو يغضَّ الطرف عنها، ويضرب الذِّكر صفحاً؟! وهل له - إذا ما رام سلوك سبيل الأمانة العلمية، والسلامة اللغوية، وإبراء الذمة الإنسانية - أن يتماشى مع أشتات آراء لا يُقرُّ بها عقل رجلٍ رشيد، ولا يُؤيِّدها منهج علمٍ سديد؛ بل لا تعدو كونها قائمة - في أحسن أحوالها - على شفا جُرْفِ هارٍ على وشك أن ينهار بها وبأصحابها في مهاوي الرَّدَى؛ فتراهم يتلفَّتون يمناً ويسرة تلفَّت اللَّصُّ الأبق من قبضة الجزاء والعدالة، ويرجون التشبُّث بغلالات رقيقة من جُملة أخلاطٍ غير متجانسة من المُقدِّمات والنظريات والافتراضات والتخمينات والتشكيكات الجدلية بعدما ألبست - قسراً - لُبوس البحث العلمي الحرِّ؛ فخرج ثوباً مُتقلِّصاً يقصرُ عن غايته، أو هيكلاً من العظم لا يكسوه لحم ولا عصب!!

وتلك الآراء المُوجَّهة صوب لغتنا المنبِعة - في حقيقة أمرها وواقع حالها - لا تثمر إيمان الإذعان، ولا خشية الديان، ولا حُبَّ القرآن بقدر ما تثير في النفوس رواكد الشبهات، وتزرع بذور الفرقة والشتات، وتؤجج أوار الفتنة بعدما دُفنت معها أسبابها ونتائجها، وطُويت في رُموسها مُقدِّماتها وعواقبها.. وهي - باختصار - عابثة فيما لا يعينها - من قريب أو بعيد - أمره، عبث النزق الذي جنَّ عن فكره الحدُّ بين الجدِّ واللعب^(١)!!

لقد طَوَّعت لبعض من وسموا أنفسهم بـ«الدارسين والباحثين في اللغات الإنسانية» من المُعرضين والمُعرضين أنفسهم، وأمَّتدَّ الحنقُ

(١) الرمس بوزن الفليس: ما تحمله الريح فترمس به الآثار؛ أي: تعفيها وتدرسها، والرمس أيضاً: تراب القبر وما حثي عليه [ينظر: جمهرة اللغة (١/ ٣٩٢)، وتهذيب اللغة (٤/ ٢٨٤)، والصَّاح (١/ ٢٦٩)، والمحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٤٩٥)، ولسان العرب (٦/ ١٠١)، وتاج العروس من جواهر القاموس (١/ ٣٩٦٥)].

وتطاول الغرورُ بهم - ولا سيِّما المستشرقون وأذنابهم - إلى الدَّعوة
 جهاراً نهاراً بماربهم، وعرض «خدماتهم البحثية!!» المُجتثَّة من الأرض
 ما لها من قرار، أمتداداً يُعرف أوَّلُه، ويُجهل منتهاه، وأنتخت أوداجهم
 زهواً وأختيالاً، وصعَّروا خدودهم عُجباً وكبراً، وأيقنوا - وإن كان يقينهم
 ظناً وخيالاً - أنَّ الرأي ما ذهبوا إليه من منكر القول وزوره، وأهتدوا -
 وليتهم لم يهتدوا - إلى تبني تلك المواقف التي بان لنا رينها، وطفا إلى
 السطح زبدها، وأستبان - من خلال ما حوته من المتردِّيات والنطائح وما
 أكلت السَّبَّاعُ وهوامُّ الفكر - مقصدها، وألقت قلوبهم مكنوناتها من خبث
 طواياهم، وسوء نواياهم!! وحالهم في ذلك كحال من قيل بحقه:

إذا ما أتيت الأمر من غير بابيه؛ ضللت، وإن تقصد إلى الباب؛ تهتد^(١)

إنَّ مواقف كهذه لا تنهض أدلَّة على ما ذهب إليه سادتها وكبرؤها،
 وكيف ينهض المولود ميناً بالولادة؟! ولا تصلح أقيسة لمقياس جليِّ قائم
 بذاته؛ من جرَّاء ما تضمَّنته تلك المواقف من السفسطة والهرف والسَّماجة
 والهوان؛ لأنها قيست على حسب الظاهر والمظاهر من دون تثبُّت في
 مواطئ الأقدام، ومن دون تبصُّر في عواقب الإقدام، ومن دون أن يُؤيِّد ما
 ذهب إليه أربابها وشطَّ فيه كتابها أيُّ دليلٍ عقليِّ متين، أو أن يسعفه أيُّ
 نصٍّ نقليٍّ أمين، أو أن يجاريه أيُّ منطقٍ لغويٍّ سليم.. ناهيك عن مخالفته
 لصُراح الحقِّ المبين، وثوابت العلم الرِّصين.. فلا أكثرات بما يقولون،
 ولا أبتئاس بما يصنعون، ولا وِجَلٌ ممَّا يكيِّدون، ولا يُؤبِّه لأقوالهم
 الرِّخيصة تلك إن لم يرعوا عنها، ولا ألتفات إلى الفلتات المناقضة
 لحقائق لغتنا المجيدة، ومبادئها الدامغة، ومقرَّراتها القارَّة الثابتة، وأحكامها
 المُسفرة.

(١) ينظر: المُستطرف في كلِّ فنٍّ مُستطرف (١/ ٧١).

وليس يصح في الأذهان شيءٌ إذا أحتاج النهارُ إلى دليلٍ^(١)
 إنَّ مفاهيم الناس للأشياء ليست هي التي تصنع الحقائق؛ بل تقتصر
 وظيفتها في العمل على إدراكها فحسب؛ حتى تكون صورة تلك الحقائق
 فيها مطابقة تماماً لما هي عليه في الواقع، مطابقة التصديق والمؤازرة، لا
 مخالفة التعليق والمنافرة.. إنَّ فساد مفاهيم الناس حول حقيقة ما من حقائق
 المعرفة لا يُغيّر من واقع حال تلك الحقيقة شيئاً، وما أكثر حقائق المعرفة
 التي تتعرّض لمشاكل فساد مفاهيم الناس عنها، وفساد تصوّر الناس لها
 عن سوء نية وقصد، أو من غير قصد، دونما أن تتأثر بذلك أو أن تميد
 مع رياحها!! إنَّ قصور النظر الكليل إلى الواقع لا يُغيّر من كمال الواقع
 شيئاً!!

ويوجد سببٌ آخر للخطأ الذي يقع فيه كثيرٌ من الباحثين في هذا
 العلم أو ذلك؛ إلّا وهو اعتمادهم على أفكارهم وضمائرهم فقط، وجعلها
 المقياسَ الوحيد الذي تقاس به مبادئ العلوم، ونسبوا إلى هذا المقياس
 العصمة عن الخطأ؛ مع أنه مقياسٌ غير كافٍ وحده؛ فقد يُخطئ، وقد
 يُصابُ عند بعض الناس بعلّة من العلل المرضية؛ فيعشى أو يعمى، أو
 تخنلَ عنده الرؤية؛ فيُصدرَ أحكاماً فاسدة^(٢)!!

ولولا أنَّ الإسلام حقٌّ بذاته، مُؤيّدٌ بتأييد الله ﷻ، محفوظٌ بحفظه؛ لم
 تبق منه بقية تصارع قوى الشرِّ في الأرض التي ما تركت سبيلاً لكيده
 والمكر به إلّا سلكته، ولا سبباً لإخماد جذوته وإطفاء نوره ودرّس معالم
 لغته إلّا تبنته وأخذت به، ويمكرون ويمكر الله، والله خيرُ الماكرين.

لقد جاءنا المُشكِّكون من خصوم العربية الفصحى بحُججٍ واهية
 يلوكونها، وأقوال مهلهلة يُلقونها، وحزمة مُخلخلة من السفسطات

(١) ينظر: جواهر الأدب (١/ ١٨١)، ودواوين الشعر العربي على مر العصور (٤٧/

٣٣٢)، والسحر الحلال في الحكم والأمثال/ ص ٨٩.

(٢) ينظر: كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة/ ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

والمغالطات والتمويهات والتهويمات والنظريات الجوفاء التي لا سند لها من الحق، والتي لم تشهد البراهين العلمية والأبحاث الموضوعية بصحتها.. وهم يلجأون إلى قبول ذلك الغطاء اضطراباً كلما دمغتهم البراهين، وأعوزتهم الحجج، وألزمتهم الأدلة العلمية به، ولم يجدوا عنها محيصاً!!

إن قصة ضرورة تيسير حروف العربية لا تعدو - في أحسن أحوالها، وأحنى وصفٍ نقديٍّ لها - كونها أسطورة خرافية لا وجود لها إلا في الأدهان.. وقد أحسن تشييعها كبار الغزو الفكري، وأحسن تطبيق بنود خطتها - نظرياً فقط - أجراءه من أبناء هذه الأمة المغرر بهم.. وقد كان شعارُ البحث العلميِّ ووسائل المعرفة بغلةً ذلولاً أوصلت أعداء العربية وحُسادها والمُتربِّصين بها الدوائر إلى عربة ثيران العامية واللائظام!! فهل يقبل إنسانٌ يملك الحد الأدنى من التفكير المنطقيِّ السليم هذا النوع من المنطق والاستدلال الذي ليس له أسرٌ يشده، ولا لحمٌ يملؤه، ولا إهابٌ يزينه، أو تجري فيه دماء حياةٍ أو حياء؟!!

إن أقلُّ متأملٍ في هذا الكلام وأشباهه؛ يتبين له أنه إرهابٌ واضحٌ بمرحلة جديدة من مراحل الحرب المعلنة التي أطلق شرارتها أعداء العربية والعروبة والإسلام؛ ولكنهم كلما أوقدوا ناراً للحرب؛ أطفأها الله، وحمى دينه ولغة هذا الدين؛ لتبقى حرّةً أبية، وتتحطم على أسوارها العصية كلُّ قلوب الأعداء الحاقدين من الرابضين على تخومها أو المتزيبين بزيبها كيداً وزوراً وبهتاناً.

وهذه الآراء النقدية لا تعدو - في أحسن أحوالها، وأحنى وصفٍ نقديٍّ لها - كونها مُفترياتٍ وأباطيل، وخداعاً وتضليلاً!!

خلاصة القول أن هذه الشبهات والتشكيكات والجدليات المهرجة حول رصانة لغتنا العربية وصلاحيتها للاضطلاع برسالتها السامية؛ إنما تساق وتلقي شباكها وشراكها وحبائلها ليعلق بها من يعلق من المُنبِتِّين عن

لغتهم وأمتهم دينياً ووطنياً، ولتصيد الأغرار منهم علمياً ومنهجياً، ولتضليل المراهقين فكرياً ونفسياً.

فيا هؤلاء المُسدين خدماتهم - زوراً وكيداً وحيلة - للغةِ هيأ اللهُ ﷻ أسبابَ خدمتها، وأتاح وسائلَ حفظها، وأرسى دعائمَ سُموها من فوق سمواته العُلى، أقولها لكم على لسان كلِّ منافحٍ عن العربية: إن كان لديكم فضلٌ ظهر؛ فعودوا به على أشتات لغاتكم عديمة الظهر، وخيطوا رُفاعاتها المُتهرئة والمتلونة كلِّ يومٍ بألوانٍ شاحبةٍ مزرية، وأسعفوا قواعدها المرتبكة التي لا تعرف هواده ولا قراراً، ولا تكونوا كمن يُحاولُ إكساءَ الناس؛ وإسته عارية.. ولكنَّ العدوَّ - أمثالكم، وإنْ أبدى مُسالمةً - إذا رأى مِنَّا يوماً غرّةً؛ وثباً!!

((فالضاد من مزايا لغة العرب؛ لأنها حرفٌ لا ينطقه إلا العرب الصُّرْحَاء؛ لذا سُميت العربية: «لغة الضاد» بإطلاق الجزء وهو الحرف على الكلِّ وهي اللغة على سبيل المجاز المُرسَل))^(١)؛ ومن هنا جاء ((تمييزُ هذه اللغة بهذا الحرف باعتبارها مُتفرّدة به دون نظيرٍ له في اللغات العالمية؛ بل في اللغات السامية القريبة الأُصُر باللغة العربية؛ حتى عاد معياراً لتمييز العربيِّ عن سواه لدى نطقه بهذا الحرف.. وغيرُ العربيِّ لا يستطيع أداءه وإخراج صوتِه كما هي الحال عند العربيِّ المَحْض))^(٢).

(١) مجلّة الضاد (العدد الرابع)، الافتتاحية/ ص ٩.

(٢) منهج البحث الصوتي عند العرب/ مجلّة الضاد (العدد الثالث)، ص ٨٧.

المبحث الثاني

طائفة من الأقوال والمزاعم التي تبناها دعاة التغيير.. ونقدها

يقول الحاكم الفرنسي إبان احتلال حملته للجزائر: ((إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرأون القرآن ويتكلمون العربية؛ لذا يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم!!))^(١)، وقال آخر^(٢): ((متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب؛ يمكننا أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة - يعني الحضارة المسيحية - التي لم يُعده عنها إلا محمدٌ وكتابه!!))^(٣)؛ فكان بيننا أنه لا يمكن أن يتوارى القرآن حتى تتوارى لغته!!

وزاد ثالث^(٤) الأمر صراحة وجلاءً ببيانه أن اللغة العربية هي الرِّباط المُحكّم الوثيق الجامع لملايين المسلمين - على اختلاف أجناسهم ولغاتهم - في بوتقة واحدة؛ إذ يقول: ((إنه لم يسبق وجود عقيدة مبنية على التوحيد أعظم من عقيدة الدين الإسلامي الذي أقتحم قارتي آسيا وإفريقية الواسعتين، وبث في مائتي مليون من البشر - وهذا تعدادٌ أقلُّ

(١) قادة الغرب يقولون/ ص ٣١، وينظر: نقل معاني القرآن الكريم إلى لغة أخرى،

ترجمة أم تفسير/ ص ٥، وحصوننا مهددة من داخلها/ ص ١٩٩ وما بعدها.

(٢) ذلك هو القسُّ (وليم جيفورد بلجراف): رحالة أوروبي، إنجليزي النشأة، زار

جزيرة العرب للمدة ما بين ١٨٦٢-١٨٦٣م، وكان يجوب بلاد العرب في زيِّ

طبيبٍ سوريٍّ مُسلم، وتسمّى بـ(سليم أبو محمود العيسى)، [تتظر: الموسوعة

المُيسّرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٦٧٧)].

(٣) أباطيل وأسما/ ص ١٢٩، و٢٠٢، والغارة على العالم الإسلامي/ ص ٩٤، وقادة

الغرب يقولون/ ص ٦٣.

(٤) ذلك هو القسُّ صموئيل زويمر (S.M. Zweimer): مُستشرق، مُبشّر، مُؤسّس

مجلة (العالم الإسلامي) الأمريكية [تتظر: الموسوعة المُيسّرة في الأديان

والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٦٩٠)].

من الحقيقة بكثير كما هو معلوم - عقائده وشرائعه وتقاليده، وأحكم عروة
أرتباطهم باللغة العربية!!))^(١).

ومن هنا أندلعت شرارة معركة تعدُّ من أعتى المعارك الدائرة على
الساحة العربية والإسلامية وأكثرها ضراوة، وأشدَّ أوارها، وحمي
وطيسها؛ لأنها تقضي في نهاية المطاف إلى بناء أو هدم، حياة أو موت،
رفعة وحرية أو عبودية وأستخذاء وتبعية، وحدة العرب والمسلمين تحت
لواء عربية واحدة؛ هي الفصحى، أو تفرقتهم وتشرذمهم إلى أشتات
متاحرة متناكرة بلغات متنازعة؛ هي العاميات!!

فلا عجب أن يبذل هؤلاء وأضربهم كل ما في وسعهم، وأن يسلكوا
كل سبيل ويبتغوا كل وسيلة للفصل بين المسلمين والقرآن، وكانت بداية
مكرهم فصل المسلمين عن لغة القرآن؛ فسلكوا كل سبيل إلى ذلك؛
فزرعوا لغاتهم، ومنعوا الأذان بالعربية في بعض البلدان، ومنعوا الكتابة
بها، وأستبدلوا بالأحرف العربية الأحرف اللاتينية!!

لكنَّ المسلمين لا يزالون مُرتبطين بعربيتهم في شتى الأصقاع،
يربطهم بها القرآن الكريم؛ ما حدا بطائفة من دعاة الهدم إلى ترجمة
القرآن الكريم بلغاتهم المحلية، ووُجوب الصلاة بها، وهجر اللغة العربية
والصلاة بها!! ولكي تلقى دعوتهم تلك القبول والرواج، ويُمكن لها
بزعمهم؛ وضعوا لذلك تعليقاتٍ تخدع المنهزمين فكراً وتزيد المؤمنين بها
إيماناً وثباتاً؛ فزعموا أنَّ الصلاة بالترجمة تمدُّ المُصلي غير العربي
بالخشوع في الصلاة؛ لأنه - والحالُ تلك - سيفقه المعاني التي يقرؤها
في صلاته، وتكون مناجاته لربِّه أعمق وأصدق!!

وقالوا: إنَّ الدِّين الإسلاميَّ دينٌ يُسر؛ فلا يشقُّ على غير العربيِّ
بتعلُّم العربية، وزعموا أنَّ هذا أسرع في أنتشار الإسلام بين العجم، وأكثر

(١) أباطيل وأسمار/ ص ١٥٣، وينظر: ص ١٨٩، و ١٩٤.

تحببياً وتزيبناً للدين الإسلامي في نفوسهم!! وأخذت طائفة من أبناء المسلمين بما ذهبوا إليه، وأبتهجت نفوسهم لهذا الكلام الذي يبدو في ظاهره الرحمة، وباطنه من قبلة الضلال الشديد؛ فنشأت حينها دعوة قوية لهذا الأمر في بلاد المسلمين؛ وبخاصة في تركيا ومصر والشام^(١).

وهذا أحد مفكري اليهود يصرخ من المرارة والحنق قائلاً: ((من حق إسرائيل أن تحيي العبرية الميتة، ومن واجبنا أن نميت العربية الحية!!))، يقول الدكتور عمر فروخ في معرض تعليقه على ما سبق: ((أعجب من الذين يدرسون اللغات الميتة، ثم يريدون أن يميتوا لغة حية كالعربية!!))^(٢).

وختاماً، فكثيرة هي المسارب الخفية التي يتسلل منها المتربصون لكيد هذه اللغة وكتابها الأكبر كثرة أعدائها.. فمن مظاهر فصل اللغة عن قرآنها: أن يدعى بعضهم أن اللغة إنما حُفظت لا بسبب ارتباطها بالقرآن، ولكن بسبب أنكفائها على نفسها وأنغلاق أهلها عليها؛ كما هو الحال في اللغة الصينية، كما يقولون، وقد غاب عن هؤلاء ((أن العربية بُنيت على أصل سحري، يجعل شبابها خالداً عليها؛ فلا تهرم، ولا تموت؛ لأنها أُعدت من الأزل فلماً دائراً للنيرين الأرضيين العظيمين: كتاب الله ﷻ وسنة رسول الله ﷺ؛ ومن ثم كانت فيها قوة عجيبة من الاستهواء كأنها أخذة السحر، لا يملك معها البليغ أن يأخذ أو يدع!!))^(٣).

ويزعم هؤلاء أن البلاغة يمكن أن تكون بمعزل عن القرآن، وأن الفصاحة يمكن أكتسابها من غير القرآن، وهذا ما لم يقل به أحد من قبل، وليأتنا هؤلاء بواحدٍ أستطاع - بمعزل عن القرآن، وما كان على نسقه

(١) ينظر: أباطيل وأسمار/ ص ١٢٨، ونقل معاني القرآن الكريم إلى لغة أخرى، ترجمة أم تفسير/ ص ٥-٦.

(٢) اللغة العربية ومكانتها بين اللغات/ ص ١٩.

(٣) تحت راية القرآن/ ص ٢٦.

من الكلام جزالة وقوة، وحلاوة وطلاوة - أن يجعل من نفسه أديباً ذا بيانٍ ولسان، وتمكّن من الغضّ من قدر العربية، والنيل من مكانتها وأنها ضرورة لكل علم شرعيّ، وليست بدعاً عصرياً!!

وهناك فئة تحاول فصل الأمة عن دينها بحيلة قطع الصلّة الوثيقة الرابطة بين اللغة العربية والقرآن والحديث، وإبعاد علوم العربية عن الصبغة الدنيوية، ويتظاهرون مع ذلك بحُبّ العربية، والحرص على تعليمها؛ لكن بشرط أن تفصل عن العلوم الشرعية، وأن لا يكون للدين وتعليماته هيمنة عليها؛ فظهرت دعوات إلى إقامة أقسامٍ للعربية مبنية على هذه الأسس، تربي أبناءها على غير لغة القرآن وإن كتبت بالحرف العربي، ويدرسون غير لغة القرآن؛ وإن سموها علوماً عربية!!

إنّ هنالك حرباً سافرة يُستهدف بها القرآن؛ لكنها لا تستطيع أن تخلع قناعها وتهجم على ما تريد مباشرة؛ لأنها سوف تردّ وتصدّ؛ فيصرفون حربهم إلى لغة القرآن؛ فيحاربون كلّ لسان يُحاكي بيان القرآن في جزالته وفصاحته، ويستبدلون بذلك كلّ أسلوب فجّ، وتركيب مجّ ركيك، وهم في ذلك لا يحاربون نمطاً من أنماط التعبير، ولا يحاربون اللغة العربية نفسها، ولكنهم يُعلنون - في حقيقة الأمر - حرباً ضروساً على القرآن المجيد^(١)!!

ولا نحتاج لمزيد من الجهد في بيان مدى التلازم والتآخي بين علوم العربية وعلوم القرآن؛ حتى غدا كل واحدٍ منها لا يتم إلا بالآخر، وهذه لُحمة أكدها تعويل كل منهما على الآخر؛ إذ لا يستطيع دارس علوم القرآن أن يُفيد منها كما ينبغي إلا بدراسة العربية وعلومها المختلفة دراسة جادة، في حين لو تخلّت علوم العربية عن القرآن، أو نأت؛ لاستحالت جثة

(١) تنظر كلمة لشكيب أرسلان، ضمن كتاب «تحت راية القرآن»، ص ٣٥.

هامدة لا حرّك بها، ولفارقت رُوْحَهَا الفاعلة، وفقدت ما فيها من مقوّمات
أسلوبية، وبيانٍ ناصع!!

فلا بدّ لنا - والحالُ تلك - من إدراك أنه لا يُمكنُ المسلمين أن
يُقيموا دعائم دينهم، أو أن يفهموا قرآنهم من غير أستعانةٍ باللُغة العربيّة،
وإنه لولا القرآن؛ لما تقدّمت علوم العربيّة، وتميّزت عن غيرها من علوم
اللغات الأخرى.

كما لا محيص لنا ولا مهرب من معرفة أنّ القرآن الكريم هو السرُّ
في بقاء العربيّة وخلودها، أدرك هذا أعداؤها، كما أدركه أهلها، نجدُ تأكيد
ذلك في دراساتٍ عربيّة، وأخرى غير عربيّة؛ بل إنّ هذا هو الذي خلّد
العربيّة، ورفعها إلى أن تكون ممّا يتسامى الناسُ في تحصيله؛ إذ صارت
العربيّة فيما بعدُ لغة الدّين، ولغة العلم، ولغة الحضارة، ولغة عليّة القوم؛
فتسامى الناس في تعلّمها، وتباروا في إتقانها لجُملة هذه الدّوافع؛ حتى
صار من غير أهلها من أمتاز على أهلها وتفوّق!! وهذه الدوافع تعود كلّها
إلى القرآن المجيد؛ فالقرآن هو الدّافع الحقيقيّ الذي جعل من العربيّة
مقصداً يتبارى الجميع في تحصيله وتحقيقه.

من أجل ذلك كلّه وغيره يجبُ الحذرُ أشدُّ الحذر من الدّعوات
الهدّامة الرامية إلى فصل القرآن عن العربيّة؛ بل إلى فصل سلطة القرآن
على العربيّة، وأنه يجب أن ندرس العربيّة - بحسب تلك الدّعوات -
بعدها لغة لا ترتبط بالقرآن، مثلها في ذلك مثل أية لغة أخرى، وقد جرت
هذه الفكرة وسرت إلى حدٍّ جعل أناساً يعملون على إيجاد أقسامٍ دراسية
للعربيّة لا تهيمن عليها السّلطة الدّينية، ولا تهيمن عليها الاتجاهات
القرآنية!!

يجب أن نكون في حذرٍ شديد وفي مأمنٍ ومنجىٍّ من دعوات تجريد
تعليم العربيّة عن الدوافع الدّينية، وبخاصّة في مجال تعليمها لغير أهلها؛
إذ من شأن هذا التجريد أو الفصل أن يرفع عنها هيبتها وقداستها التي

أكتسبتها من ارتباطها بالقرآن، ويجعلها كأية لغةٍ من سائر اللغات الإنسانية، ليس لها أيُّ أمتياز^(١)!!

المبحث الثالث

بعض الأخطاء الفردية والاجتماعية السائدة لطائفة من أحرف الوحي

وأبعادها الدلالية

يهتمُّ علمُ اللغة (Linguistics) بالتغيُّر اللغويِّ على المستوى الاجتماعيِّ، ويرجع التغيُّر اللغويُّ دائماً إلى تجديدٍ فرديٍّ يقبله المجتمع.. أما التجديد الذي يرفضه المجتمع؛ فيبقى خارج مجال علم اللغة؛ لأنه يبحث اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية، وليس كلُّ تغيُّرٍ لغويٍّ عند فرد ما أو مجموعة أفراد يُعدُّ مقبولاً اجتماعياً؛ فإلى جانب تغيُّرات بدأت على مستوى الفرد، ثمَّ أصبحت على مستوى البيئة اللغوية كلاً؛ هناك تجديدات فردية لقيت من التصديِّ والمعارضة الكثير؛ فطلَّت مرتبطة بمجموعة أفراد، ولم تلق أيَّ رواجٍ أو قبولٍ اجتماعيٍّ^(٢).

إنَّ التمييز بين اللغة والكلام ضروريٌّ في دراسة قضية التغيُّر اللغويِّ.. والتغيُّر اللغويُّ شبيهٌ بالتغيُّر في العادات والتقاليد والأزياء، ومعنى هذا أنَّ التغيُّر اللغويَّ يبدأ عند فردٍ ما؛ أي على مستوى الكلام، فإذا ما وجد هذا التجديدُ قبولاً من لدن المجتمع؛ فإنه سيلقى رواجاً، ويصبح بمضي الوقت عرفاً لغوياً سائداً.

وبناءً على ما تقدَّم؛ فإنَّ التغيُّرات اللغوية الفردية المقبولة لدى المجتمع ستلقى رواجاً نسبياً، وبالتدريج قد يُفضي بها الحال إلى أن تحلَّ محلَّ اللهجة الرَّسمية الصَّحيحة وتنسخ اللغة الفصحى، وتصبح بمُضيِّ

(١) ينظر: عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم/ ص ٩٧ - ١٠٣.

(٢) ينظر: علم اللغة العربية/ ص ٢٧.

الوقت عرفاً لغوياً سائداً، وفرعاً بديلاً عن أصله؛ فتجرُّ على المتكلمين بها أخطاءً وخيمة وأخطاراً جسيمة.

وإني ليحزنني ويؤلمني كثيراً أن يستبدل قومٌ حباهم ربُّهم وأجتباهم برسالاته وبكلامه تلك اللغة برقاعاتٍ من هنا وهناك من اللهجات المحلية التي أثرت فيها عواملٌ كثيرةٌ داخلية وخارجية، من بين أهمِّها: الاستعمار الغربي الذي رزح تحت وطأته الثقيلة أبناءُ هذا المجتمع أو ذلك من الزمن عقوداً متطاولةً مريرةً^(١)!! وهذا كله في عموم اللغة العربية.. أما إذا طبقت تلك الهجائن المتباينة والأخلاق غير المتجانسة من اللهجات في حال التعامل مع أي الذكر الحكيم وتلاوته وترتيبه؛ فإنَّ في ذلك محاذير لا تخفى على اللبيب الفطن، وأخطاء قد تؤدِّي إلى قلب الحكم وتغيير المعنى اللغويِّ المعجميِّ أو الشرعيِّ، وقد تتعدَّاه إلى معانٍ ومدلولاتٍ كُفْريَّة - والعياذ بالله - إذا ما كان التالي للآيات فقيهاً بما ينلوه، قاصداً لمعناه.

لذا ينبغي الحذرُ أشدَّ الحذرِ وأبلغه من العمل - عن قصدٍ أو من غير قصدٍ - على تسريب تلك اللهجات، أو الإذن والسَّماح بتسرُّبها إلى لغة الكتاب الحكيم.. ومن الأحرى - بل من الواجب المتحتم على الصَّعيدين الشرعيِّ والقوميِّ - قطعُ الطريق من دابره، وسدُّ باب الذرائع بالتصدِّي لها وعدم السَّماح لها بالشيوع والانتشار حتى على المستوى المحليِّ والخطابات البيئية لأبناء المجتمع الواحد؛ ليكون ذلك الإجراءً سوراً منيعاً وخطوةً احترازيةً مُشدَّدةً تصدُّ هجمات تلك اللهجات على لغة القرآن المعجزة، وتردُّ مروجيها، وتقف بوجهها الوقوف اللائق والمرجؤ.

إذا ما عرفنا ذلك كله؛ فيمكننا حينئذٍ تقسيم الأخطاء - المتمثِّلة بالتغيُّرات اللغوية الفردية المقبولة لدى المجتمع، أو المجتمعية السائدة على السنة الأفراد - إلى نحوية، وصرفية، وحُكْمية، ولهجية، وأخطاءٍ في

(١) ينظر: المرجع نفسه/ ص ٢٩ - ٣٠.

التلاوة.. وسألترق في هذا المبحث لأهم تلك الأخطاء على مستوى الأداء والنطق أو على مستوى الرّسم الكتابي، وأقفُ على أهم أبعادها الدلالية غير المقصودة ابتداءً حين النطق أو الكتابة:

❖ **(حضر وحظر): المحتضر:** ما يُحضر ويُشهد ﴿وَنَبِّئُهُم أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُّحْضَرٌ﴾ (٢٨) ﴿سُورَةُ الْقَيْسِيَّةِ﴾؛ أي: يحضره أصحابه^(١).. **والحظر:**

المنع والحجر، وهو خلاف الإباحة ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (٢٠) ﴿سُورَةُ الْأَنْعَامِ﴾.. **والمحظّر:** صانع الحظيرة المتخذة من الخشب، أو القصب ونحوه؛ لتقي الإبل والدوابَّ الحرَّ والبرد والريِّح^(٢)، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَجِدَةً فَكَانُوا كَهَيْئَةِ الْحَنْظِرِ﴾ (٣١) ﴿سُورَةُ الْقَيْسِيَّةِ﴾.

❖ **(الحضُّ والحظُّ): الحضُّ:** الحثُّ على الشيء^(٣)، ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ (١٧) ﴿وَلَا تَحْضُرُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ (١٨) ﴿سُورَةُ الْفَجْرِ﴾، ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ (٣) ﴿سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ﴾، **والحظُّ:** النصيب المقدَّر ﴿فَسَوْأَ

(١) ينظر: الصّاح (١/ ١٣٤)، والمفردات في غريب القرآن (١/ ١٢٢)، وعمدة الحُفَاط في تفسير أشرف الألفاظ (١/ ٤٢٤ - ٤٢٥).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (٢/ ٨٤)، والصّاح (١/ ١٣٦)، والمفردات في غريب القرآن (١/ ١٢٣)، ولسان العرب (٤/ ٢٠٢)، وعمدة الحُفَاط في تفسير أشرف الألفاظ (١/ ٤٢٨)، والظاءات القرآنية/ ص ٤٤، ومختصر في الفرق بين الضاد والظاء/ ص ٤٣، والفرق بين الحروف الخمسة/ ص ١٤١، وزينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء/ ص ١٠٠، والاعتماد في نظائر الظاء والضاد/ ص ٢٩، والتمهيد في علم التجويد/ ص ٢٤٤، وما وقع في القرآن الكريم من الظاء «عن مجلة البحوث الإسلامية»، العدد (٢١)، ص ٢٠٤، ومجلة المجمع العلمي العراقي/ العدد (٣١)، (٤/ ٣٥٢ - ٣٥٣).

(٣) ينظر: المصدر نفسه (١/ ٤٢٤)، ولسان العرب (٧/ ١٣٦)، وعمدة الحُفَاط في تفسير أشرف الألفاظ (١/ ٤٢٦)، وتاج العروس من جواهر القاموس (١/ ٤٦٠).

حَظًا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴿١٤﴾ [سُورَةُ الْمَائِدَةِ]، وَخَصَّه بَعْضُهُمْ بِأَنَّهُ:
النَّصِيبَ الطَّيِّبَ الْمَحْبُوبَ مِنَ الْفَضْلِ وَالْخَيْرِ ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي
أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِمُلْ حَظٌ الْأُنثَيَيْنِ ﴿١١﴾ [سُورَةُ النَّسَاءِ].. وَالْحَظُّ أَيْضًا:
الْبَخْتُ وَالْجَدُّ وَالسَّعَادَةُ^(١)، ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍ
عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ [سُورَةُ فَصَّلَاتٍ].

❖ (ضَلَّ وَظَلَّ): ﴿عَيْرِ الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ [سُورَةُ الْفَاتِحَةِ]،
و﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٧﴾ [سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ]، و﴿وَلَوْ فَحَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا
مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ [سُورَةُ الْحَجِّ].. فَرَقٌ كَبِيرٌ بَيْنَ الْفَعْلَيْنِ
ضَلَّ وَظَلَّ - بِالضَّادِ وَالظَّاءِ - وَمَا أَكْثَرَ الْبَاحِثِينَ وَالْقُرَّاءَ مِمَّنْ
يَخْطِئُونَ بَيْنَهُمَا فِي الْإِسْتِعْمَالِ!! فَيَنْطِقُونَ - وَقَدْ يَرْسُمُونَ - الضَّادَ
فِي ﴿الْمَعْضُوبِ﴾، و﴿الضَّالِّينَ﴾ ظَاءً؛ فَتَسْتَحِيلُ مَعَانِيهَا إِلَى أُخْرَى غَيْرِ
مُرَادَةٍ مِنْهَا أَبْتِدَاءً!! وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْلِبُ الْآيَةَ؛ فَيُبَدِّلُ الظَّاءَ فِي مِثْلِ:
﴿الظَّلِّ﴾، و﴿ظَلَّ﴾ ضَادًا؛ كَمَا فِي نَحْوِ قَوْلِهِ ﷺ: ﴿أَنْظِلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي
تَلْدَتِ شُعْبٍ ﴿٣٠﴾... إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ [سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ]، و﴿ظَلَّ
وَجْهَهُ مُسَوِّدًا وَهُوَ كَظِيمٍ ﴿١٧﴾ [سُورَةُ الْخُرُقِ]، يَقُولُ أَبُو السَّيِّدِ
الْبَطْلَيْسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ((ضَلَّ - بِالضَّادِ - بِمَعْنَى: تَحَيَّرَ، وَيَكُونُ

(١) ينظر: العين (٢٢ / ٣)، وتهذيب اللغة (٤٣٣ / ١)، ولسان العرب (٤٤٠ / ٧)،
وتاج العروس من جواهر القاموس (٥٠٥٢ / ١)، والظاءات القرآنية/ ص ٢٩،
والفرق بين الحروف الخمسة/ ص ١٤٠، وزينة الفضلاء في الفرق بين الضاد
والظاء/ ص ٩٨، والاعتماد في نظائر الظاء والضاد/ ص ٣٢، والتمهيد في علم
التجويد/ ص ٢١١، ومجلة المجمع العلمي العراقي/ العدد (٣١)، (٤ / ٣٥٥ -
٣٥٦)، وما وقع في القرآن الكريم من الظاء «عن مجلة البحوث الإسلامية»،
العدد (٢١)، ص ٢٠٠.

بمعنى: أخطأ... والظَلُّ - بالظاء - أصله: السَّتْرُ، ومنه قيل: ظَلَّ الشمس، لما سترته الشخوصُ من مسقطها.. ومنه: ظَلَّ الجنة، وظلَّ شجرها إنما هو سترها ((^(١)).

وليت الأمرَ وقف عند هذا الحدِّ؛ إذ تعدَّاه إلى إبدال أحد الحرفين بالآخر بعشوائية تامَّة لا مسؤولية؛ حتى ألفت بعضَ الباحثين المتخصِّصين ممن أُصيب بخبط العشواء تلك؛ فلم يعدَّ يعي ما يقول أو يكتب؛ فوجدتُ في عددٍ من هوامش أحد (البحوث العلمية والرسائل الجامعية!!) العبارة التالية يُشيرُ فيها (الباحث!!) إلى أَعتماده في بحثه على تفسير سيِّد قطب: «في ضلال القرآن»!! حاش القرآن ممَّا يهرف فيه فلانُّ بما لا يعرف من التَّيه والضلال!!

في حين وجدتُ آخر - وهو يُعدُّ رسالة علمية لينال بها درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها والقراءات القرآنية وفنونها - وجدته تائهاً في تخريج آية قرآنية بيده على الآلة الطابعة؛ فأملأها على الشكل التالي: (من يظلل الله فلا هادي له)!! كما ألفتَه متخبطاً في تقسيمه الضمائر في العربية إلى [ظمائر مضمرة!!]، وأخرى [مضمرة]^(٢)!!

(١) مختصر في الفرق بين الضاد والظاء/ ص ١٠، وينظر: الظاءات القرآنية/ ص ٢٩، والفرق بين الحروف الخمسة/ ص ١٣٢ - ١٣٤، و ١٤٠، والاعتماد في نظائر الظاء والضاد/ ص ٣٢، والارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء/ ص ١٢٨ - ١٢٩، والتمهيد في علم التجويد/ ص ٢١١، ومجلة المجمع العلمي العراقي/ العدد (٣١)، (٤/ ٣٤٨ - ٣٤٩، و ٣٥٧ - ٣٥٨)، وما وقع في القرآن الكريم من الظاء «عن مجلة البحوث الإسلامية»، العدد (٢١)، ص ٢٠٤.

(٢) أتخفظ عن ذكر أسمي الباحثين وعنوان بحث كلٍّ منهما، وأسأل الله تعالى لنا ولهما الهداية والتوفيق والصالح.

- ❖ (الضَّئِنَةُ وَالظَّنَّةُ): ﴿وَمَا هُوَ عَلَىٰ الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ (٢٤) [سُورَةُ التَّكْوِينِ]، الضَّئِنَةُ: البُخْلُ بالشَّيءِ النَّفِيسِ^(١)، وقرئ: ﴿بُظْنِينٍ﴾، وَالظَّنَّةُ: التُّهْمَةُ، وَالظَّنِينُ: المَتَّهَمُ الَّذِي تَظُنُّ بِهِ التُّهْمَةُ^(٢).
- ❖ (العِصَّةُ وَالْعِظَّةُ): ((العِصَّةُ: القِطْعَةُ مِنَ الشَّيْءِ، تَقُولُ: عَضَيْتُ الشَّيْءَ؛ أَي: وَزَعْتَهُ... وَلَيْسَ دِينُ اللَّهِ ﷻ بِالْمُعْضَى؛ أَي: بِالْمُفَرَّقِ... ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ (١٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ (١١) [سُورَةُ الْحَجَرِ]؛ أَي: عِصَّةٌ عِصَّةٌ؛ فَفَرَّقُوهُ: آمَنُوا بِبَعْضِهِ، وَكَفَرُوا بِبَعْضِهِ!! ((٣))، و﴿إِنِّي أَعْظُمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٤٦) [سُورَةُ هُودٍ]، ((الوِعْظُ: التَّخْوِيفُ، وَالْعِظَّةُ الْإِسْمُ مِنْهُ؛ ... وَهُوَ التَّنْكِيرُ بِالْخَيْرِ وَمَا يَرِقُّ لَهُ قَلْبُهُ)) (٤).

- (١) ينظر: تهذيب اللغة (٥/ ٣٧)، والمفردات في غريب القرآن (١/ ٣١٧)، ولسان العرب (١٣/ ٢٧٢)، وعُمدَةُ الحُفَّاطِ فِي تَفْسِيرِ أَشْرَفِ الْأَلْفَاظِ (٣/ ١٤).
- (٢) ينظر: الظاءات القرآنية/ ص ٤٥، والفرق بين الحروف الخمسة/ ص ١٤٩، وزينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء/ ص ٩٧، والارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء/ ص ١٢٩ - ١٣٠، والاعتماد في نظائر الظاء والضاد/ ص ٤٩، والتمهيد في علم التجويد/ ص ٢١٧، ومجلة المجمع العلمي العراقي/ العدد (٣١)، (٤/ ٣٦١ - ٣٦٢)، وما وقع في القرآن الكريم من الظاء «عن مجلة البحوث الإسلامية»، العدد (٢١)، ص ٢٠٧.
- (٣) مقاييس اللغة (٤/ ٣٤٧)، وينظر: تهذيب اللغة (١/ ٣٢٨)، والصَّحاح (١/ ٤٧٨)، ولسان العرب (١٥/ ٦٨).
- (٤) المصدر نفسه (٦/ ١٢٦)، وينظر: عُمدَةُ الحُفَّاطِ فِي تَفْسِيرِ أَشْرَفِ الْأَلْفَاظِ (٤/ ٣٢٤)، وتاج العروس من جواهر القاموس (١/ ٥٠٨٤ - ٥٠٨٥)، ومختصر في الفرق بين الضاد والظاء/ ص ٥٢، والفرق بين الحروف الخمسة/ ص ١٠٦، و١٦٢، وزينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء/ ص ١٠٠، ومجلة المجمع العلمي العراقي/ العدد (٣١)، (٤/ ٣٦٧، و٣٧٠).

❖ (الغيض والغيظ): يقال: غاض الماءُ يغيضُ: خلافُ فاض، وغيض؛ إذا نقصه غيرُهُ، وغازت البحيرة؛ أي: غار ماؤها وذهب، وغيض الماءُ: غيَّب في الأرض ﴿ وَقِيلَ يَتَّارِضْ أْبَلِغِي مَاءَ لِي وَيَسْمَأْهُ أَقْلِبِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَفِي الْأَمْرِ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۗ ﴾ [سُورَةُ هُودٍ]، وغازت الأرحام: نقصت^(١)، ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۗ ﴾ [سُورَةُ الرَّحْمَنِ].. والغيظ: أشدُّ الغضب^(٢)، ﴿ وَإِذَا خَلَقُوا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْأَنَابِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ ﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ]، ﴿ وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظُ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ ﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ]، ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۗ ﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ]..

❖ (الفضُّ والفظُّ): الانفضاضُ: التفرُّقُ والانصرافُ، والفضُّ: تفريقُك حلقةً من الناس بعد اجتماعهم، يقال: فضضتهم فانفضوا؛ أي: فرقتهم فنفرقوا، وكلُّ شيءٍ تفرَّق؛ فهو فضض^(٣)!! ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۗ ﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ]، ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ

(١) ينظر: المصدر السابق (٤/ ٤٠٥)، والمفردات في غريب القرآن (١/ ٣٦٨)، وأساس البلاغة (١/ ٣٤١)، ولسان العرب (٧/ ٢٠١).

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن (١/ ٣٦٨ - ٣٦٩)، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٣/ ١٨٩)، وتاج العروس من جواهر القاموس (١/ ٥٠٦٦)، والظاءات القرآنية/ ص ٢٨، والفرق بين الحروف الخمسة/ ص ١٦٢ - ١٦٣، و١٧٠، وزينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء/ ص ٩٧، والاعتماد في نظائر الظاء والضاد/ ص ٤٨، والتمهيد في علم التجويد/ ص ٢١٢، ومجلة المجمع العلمي العراقي/ العدد (٣١)، (٤/ ٣٧١ - ٣٧٣)، وما وقع في القرآن الكريم من الظاء «عن مجلة البحوث الإسلامية»، العدد (٢١)، ص ٢٠٦.

(٣) ينظر: العين (٢/ ١٧)، وتهذيب اللغة (٤/ ١٤٠)، ولسان العرب (٧/ ٢٠٦ - ٢١١).

عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفُضُوا ﴿٧﴾ [سُورَةُ الْمَبَائِثِ قُورًا]، ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ
 لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴿١١﴾﴾ [سُورَةُ الْحَجَّاتِ].. والفظ: الجافي، القاسي
 القلب، الغليظ الجانب، الخشن الكلام، سيئ الخلق^(١)!! ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا
 غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴿١٥٩﴾﴾ [سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ] .

❖ (نضر ونظر): في قوله ﷺ: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ [سُورَةُ
 الْمُطَفِّفِينَ]، ﴿وَلَقَدْهُمْ نَضْرَةٌ وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾ [سُورَةُ الْأَسْتِزْلَاجِ]، ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾
 إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سُورَةُ الْقِيَامَةِ]، يقول ابن السَّيِّدِ البَطْلِيُّوسِي: ((نظر
 إليه بعينه ينظر - بالطاء - ونضر وجهه ينضر - بالضاد - ؛ إذا
 حسن، ونضره الله: حسنه، ونضر الشجر؛ إذا تنعم وأورق))^(٢)..
 وقال الدكتور حاتم صالح الضامن رحمه الله: ((نضر - بالضاد -
 يقال: نضر وجهه؛ أي: حسن، ونظر - بالطاء - يقال: نظر بعينه
 إلى الشيء؛ إذا أراد أن يراه، ونظر بقلبه؛ إذا فكر وتدبر، ونظره

(١) ينظر: لسان العرب (٧/ ٤٥١)، وعمدة الحُفَّاطِ في تفسير أشرف الألفاظ (٣/ ٢٤١)، والفرق بين الحروف الخمسة/ ص١٥٣، وزينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والطاء/ ص٩٨، والارتضاء في الفرق بين الضاد والطاء/ ص١٤٩، ومجلة المجمع العلمي العراقي/ العدد (٣١)، (٤/ ٣٧٢)، وما وقع في القرآن الكريم من الضاء «عن مجلة البحوث الإسلامية»، العدد (٢١)، ص٢٠٥.

(٢) الفرق بين الحروف الخمسة/ ص١٢٥، وينظر: اللطائف القرآنية/ الصفحات: ٣٠، ٣٣، و٣٥، ومختصر في الفرق بين الضاد والطاء/ ص٥٤ - ٥٦، والتمهيد في علم التجويد/ الصفحات: ٢١٣، و٢١٥، و٢١٧، وما وقع في القرآن الكريم من الضاء «عن مجلة البحوث الإسلامية»، العدد (٢١)، ص٢٠٢.

بمعنى أنتظره... ويقال: بفلان نظرة؛ أي: سوء حال، وبه نظرة من الجنة^(١).

ومع ما رأيناه من الفروق الدلالية اللغوية البينة الكائنة بين الألفاظ التي يدخل في تركيبها حرفا الضاد والطاء؛ إلا إن ذلك كله لم يحل دون إطلاق بعض الأصوات، وتبني بعض المشاريع الداعية والرامية إلى دمج هذين الحرفين في حرف واحد؛ لأسباب عديدة واهية، ومآرب بعيدة ما أدراك ما هيه؟!!

إذا ما عرفنا ذلك كله؛ فلا يليق أن يعزب عن بالنا أن ((هناك نوعين من الأصوات: أصواتاً ضعيفة الانتقال؛ وهي السواكن، وأصواتاً قوية الانتقال؛ وهي الحركات))^(٢)، كما إن ((اللحن في القرآن لحنان: جلي وخفي.. فالجلي: لحن الإعراب، والخفي: ترك إعطاء الحروف حقها من تجويد لفظها، بلا زيادة فيها، ولا نقصان))^(٣)، فمثال اللحن الجلي: رفع المنصوب، أو نصب المرفوع، أو خفض المنصوب، أو المرفوع.. ويعرفه القراء والنحويون وغيرهم ممن بضاعته في علم اللغة راجحة^(٤)؛ لذا سمي جلياً؛ أي: بيئاً واضحاً، أما اللحن الخفي؛ فـ ((لا

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي/ العدد (٣١)، (٤/ ٣٧٢ - ٣٧٣)، وينظر: (٤/ ٣٦٤، و٣٧٧ - ٣٧٨)، والفرق بين الحروف الخمسة/ ص ١٢٦، وزينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والطاء/ ص ٩٧.

(٢) محاضرات في اللغة/ ص ١٤١، وينظر: الدراسات اللغوية عند عبد الرحمن أيوب/ ص ٧٠.

(٣) إيضاح الوقف والابتداء/ ص ٢٩٨، وينظر: التنبيه على اللحن الخفي/ ص ٢٧، والجهود الصوتية للأندرابي/ ص ٣٧.

(٤) ينظر: التنبيه على اللحن الخفي/ ص ٢٨، والتمهيد في علم التجويد/ ص ٧٧، وبُغية عباد الرحمن لتحقيق تجويد القرآن/ ص ٢١، والجهود الصوتية للأندرابي/ ص ١٣٦.

يعرفه إلبا النحارير الماهرون والحذاق المَحْفَقون من العلماء بالقرآن))^(١)؛
لذا سُمِّيَ خَفِيًّا؛ لأنه يخفى على كثيرٍ من الناس!!

واللَّحْنُ الجَلِيُّ - هو لحن الإعراب - مُتَقَدِّمٌ كَثِيرًا على اللَّحْنِ الخَفِيِّ؛ إذ عرفه العرب منذ القرن الأول للهجرة حين تَفَشَّى وأنتشر عقب دخول غير العرب في الإسلام، وفساد الألسنة!! وكان ظهور هذا اللَّحْنِ الباعثِ والسَّبَبِ المباشر في صنع قواعد النحو، إلى جانب سببٍ آخر؛ هو محاولة فهم القرآن العظيم^(٢).. أما اللَّحْنُ الخَفِيُّ؛ فقد ظهر في القرن الرابع للهجرة، ((وأستعمل للدلالة على نوعٍ مُحدَّدٍ من الأخطاء اللغوية؛ وهو المتعلِّقُ بنطق الأصوات، والانحراف الدقيق عن توفيتها صفاتها الصَّوتية كاملة في عملية النطق))^(٣).

فَاللَّحْنُ الخَفِيُّ يتعلَّقُ بنطق الأصوات، وكيفية التَّلَفُّظِ بها تَلَفُّظًا سليمًا، وإخراج كلِّ حرفٍ من مخرجه الصحيح، مع إعطائه صفته التي يَتَمَيَّزُ بها، كلُّ ذلك من غير إفراطٍ ولا تفريط.. وتعلِّقُ هذا النوع من اللَّحْنِ بالنطق السليم؛ فقد أولاه علماء التجويد أهمَّتهم أكثر من علماء العربية، ((وطبَّقوه في دراستهم للنطق العربي، وتلاوة القرآن الكريم خاصَّة))^(٤).

فمن الأخطاء الفادحة المُعَبِّرة بجلاءٍ عن تلك الظاهرة الخطيرة: التلاعُبُ بمقدار المُدوِّد والحركات؛ إذ ((تتَخَذُ اللُّغَاتُ عدَّةً وسائلٍ في تنويع صوائتها - حركاتها - ومن ذلك أن يكون هذا التنويعُ عن

(١) إيضاح الوقف والابتداء/ ص ٢٩٨، وينظر: التنبيه على اللَّحْنِ الخَفِيِّ/ ص ٢٨،

وجهد المقل/ ص ١١٢، وبُغِيَّةُ عباد الرحمن لتحقيق تجويد القرآن/ ص ٢٣.

(٢) ينظر: دروس في المذاهب النحوية/ ص ١٠ - ١١، ومباحث في علم اللغة واللسانيات/ ص ٣٥٢.

(٣) أبحاث في علم التجويد/ ص ١٧٢.

(٤) أبحاث في علم التجويد/ ص ١٧٢، وينظر: الجهود الصَّوتية للأندرابي/ ص ١٣٦ -

طريق... مدّ الصّانّت؛ أي إطالة زمن النطق به؛ وهو ما أعتمدته العربية في تنويع صوائتها، فمدّ الصّوت بالضّمّة ينتج عنه الضمة الطويلة (الواو المدّيّة)، ومدّه بالكسرة ينتج عنه الكسرة الطويلة (الياء المدّيّة)، أما الفتح؛ فمدّ الصّوت بها يؤدّي إلى الفتح الطويلة (الألف المدّيّة))^(١).

فالحركات إذاً عبارة عن أصواتٍ صائتة قصيرة، والفرق بينها وبين الصّوامت الطويلة - الألف، والواو، والياء - كامنٌ في الكمية الصّوتية لا في النوعية.. وبعبارةٍ أخرى؛ فإنّ الصّوامت الطويلة - الألف، والواو، والياء - عبارة عن أصواتٍ صائتة مشبعة بمقدار حركتين في حال مدّها الطبيعيّ، والفرق بينها وبين الصّوائت القصيرة كمّي لا نوعي^(٢).

وقد صرّح العلماءُ بتلك العلاقة المتواشجة بين كلٍّ من الحركات وما أطلقوا عليه حروف المدّ.. قال أبو الفتح ابن جني رحمه الله: ((أعلم أنّ الحركات أبعاضُ حروف المدّ واللّين؛ وهي الألف والياء والواو.. وكما أنّ هذه الحروف ثلاثة؛ فكذلك الحركات ثلاث؛ وهي الفتح، والكسرة، والضّمّة.. وقد كان متقدّمو النحويين يُسمّون الفتح: الألف الصّغيرة، والكسرة: الياء الصّغيرة، والضّمّة: الواو الصّغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مُستقيمة))^(٣).

(١) دراسة الصّوت اللغوي/ ص ١٣١، وينظر: العين (١/ ٥٠)، وكتاب سيبويه (٣/ ٥٢٩)، والتوجيه الصّوتيّ في دراسة النحو العربي/ ص ٥١، والبحث الدلالي في إرشاد العقل السليم/ ص ٥٨، والجهود الصّوتية للأندرابي/ ص ١٣٩.

(٢) ينظر: فقه اللغة العربية، للزبيدي/ ص ٤٣٧، واللغة، لفنديرس/ ص ٤٩، والمنهج الصّوتي للبنية العربية/ ص ٧٠، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي/ ص ٩٧، والبحث الدلالي في إرشاد العقل السليم/ ص ٣٨.

(٣) سرُّ صناعة الإعراب/ ص ١٧، وينظر: الخصائص «باب في مضارعة الحروف للحركات والحركات للحروف»، (٢/ ٣١٥ - ٣١٦)، والتشكيل الصّوتيّ/ ص ٤٢ - ٤٣، وأصوات العربية بين التحوّل والثبات/ ص ٢٠.

فالفرق بين الصَوَامت الطويلة - الحروف - والصَوَائت القصيرة - الحركات - لا يعدو كونه فرقاً في الكميّة أو في مقدار المدّ، فكلُّ حرفٍ من حروف المدّ كحركتين أو أكثر، وهو ما تؤيّدُه الدراسات الحديثة.. أما كيفية النطق؛ فواحدة^(١)، والأمثلة على ذلك كثيرة لا يُحصيها العدُّ؛ كما فـي: ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾، و﴿لَأَتَّخِذَنَّ﴾، و﴿لَأُضِلَّنَّهُمْ﴾، و﴿لَأَمْلِيَنَّهِنَّ﴾، و﴿لَأَمْرَنَّهُمْ﴾، و﴿وَلَصَّيْرَتْ﴾.. فبعضُ من أقرأتهم بنفسِي في مادّة تلاوة القرآن الكريم وحفظه يمُدُّ الحركة الموجودة فوق اللّام - الفتحة - بمقدار حركتين؛ فتستحيل حرفاً، وتصبح لامٌ التوكيد في النطق دُونَ الرّسم: (لا)، وينقلب المعنى إلى الضدِّ تماماً بمدِّ طفيفٍ مقداره حركة واحدة ليصبح مقدارُ المدِّ فيها طبيعياً؛ أي مقدار حرفٍ واحد - حركتين - بدل الحركة الواحدة (لا أقعدن، لا أتخذن، ولا أضلنهم، ولا أمرنهم)!!

وعلى العكس تماماً ممّا تقدّم في أمثال: ﴿لَأَقُولُ﴾، و﴿لَأَسْأَلُكُمْ﴾، و﴿لَأَعْبُدُ﴾ ببتّر المدِّ الطبيعي في ألف (لا) وعدم إيافته حقه من التلاوة؛ فتتقلب فتحة؛ فتغدو اللّام وحيدة يتيمة (لأقول، لأسألكم، لأعبد)!! وبعض الدلالات الجديدة - كما هو بيّن - الدخيلة في اللفظ قد تؤدّي إلى الكفر إذا كان التالي لها يعنيها ويفقه معانيها!!

على أنّ ذلك ليس مُطرَداً؛ فقد تأتي أحوالٌ يُكتب فيها الحرفُ، ويُلفظ بمقدار حركةٍ واحدة، وذلك مُطرَداً في أحرف العلة المتلوّة بهمزة وصل^(٢)؛ كـ ﴿فَلَمَّا دَاقَا الشَّجَرَةَ﴾، و﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾، و﴿مَنْهُمَا أَدْكُرُنِي﴾

(١) ينظر: الأصوات اللغوية/ ص ٢٩٤، والجهود الصوتية للأندرابي/ ص ١٤٠،

والتوجيه الصوتي في دراسة النحو العربي/ الصفحات: ٥١، و١٠٦، و١٢٠.

(٢) اللغة العربية - معناها ومبناها/ ص ٣٠٨، وينظر: قضايا صوتية في النحو

العربي/ ص ٣٧٥، والتوجيه الصوتي في دراسة النحو العربي/ ص ٢١ - ٢٢.

عِنْدَ رَبِّكَ ﴿١﴾، و﴿وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾، و﴿وَأَرْجُوا أَيَّامَ الْآخِرَةِ﴾،
و﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾، و﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾، و﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أَنْقَمْنَا
مِنْهُمْ﴾، و﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾، و﴿لَا يَتَأَلَّ عَهْدِي
الظَّالِمِينَ﴾، و﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾، و﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْهُدَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.
ومن الألوان العديدة الأخرى للحن الخفي^(١):

١- مدُّ الحركة بحيث تستحيل حرفاً؛ ك﴿وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا
غَلِيظًا﴾ (وَأَخَذْنَا)!! أو بتر الحرف بحيث يصير حركة؛ كما في:
﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (وَأَخَذْنَا)!! وكما في: ﴿أَرْسَلْنَا﴾،
و﴿جَعَلْنَا﴾، و﴿قُلْنَا﴾!! ومنهما معاً مع عدم مُراعاة حركات البنية:
و﴿وَبَيْنَ شُهُودًا﴾ (وبيننا)!! و﴿وَبَيْنَنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدَادًا﴾؛ فتستحيل في
اللفظ كأنها نون نسوة!!

٢- إدغام لامات الأفعال في نحو: ﴿أَرْسَلْنَا﴾، و﴿جَعَلْنَا﴾، و﴿قُلْنَا﴾،
و﴿ادْخَلْنِي﴾، و﴿خَوَّلْتَكُمْ﴾؛ إذ يتساهل بعضهم في لفظها خطأً ولحناً
وتهاوناً: (أرسنا)، و(جعنا)، و(قنا)، و(ادخني)، و(خوئناكم)؛ فتستحيل
دلالاتها إلى معانٍ غريبة وغير مُرادة من النصوص الحكيمة!!

٣- عدمُ الاجتهاد في إظهار اللام عند الجيم القمرية في مثل: ﴿الْجَبِّ﴾،
و﴿الْجِبَالِ﴾، و﴿الْجَنَّةِ﴾، و﴿الْجَنَّةِ﴾، و﴿الْجَبَّارِ﴾، و﴿الْجِيمِ﴾،
و﴿الْجَزَاءِ﴾، و﴿الْجِسْمِ﴾، و﴿الْجَلَلِ﴾، و﴿الْجَمْعِ﴾، و﴿الْجُنُودِ﴾،
و﴿الْجُوعِ﴾... الخ.. وهذا الخطأ بالذات شائعٌ حتى بين أوساط
المتقنين!!

(١) تنظر الأمثلة العشرة أدناه جميعاً في: الجهود الصوتية للأندرابي/ ص ١٤١-

- ٤- إخراج الدال كالتاء إذا كانت بعد جيم؛ نحو: ﴿فَتَهَجَّدْ﴾، أو ياء؛ نحو: ﴿يَدْخُلُونَ﴾؛ فيجب الاجتهاد في إخراجها؛ كي لا تستحيل تاء.
- ٥- عدم تبيين التاء الرفيقة مع حروف الإطباق؛ فتصير كالطاء؛ نحو: ﴿أَوْ مَا آخَلَطَ عَظْمٍ﴾، و﴿فَأَخَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾، و﴿وَلَيْتَأْتَفُ﴾، و﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾!! وبالعكس؛ إذ يتم ترقيق الطاء المهموسة؛ حتى تستحيل تاء^(١)!!
- ٦- عدم الاجتهاد في إظهار الطاء عند التاء؛ مما يؤدي إلى الإدغام، أو مقاربة ذلك، وذهاب الإطباق؛ نحو: ﴿أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾؛ فتصبح قريبة من فعل الوعد.
- ٧- عدم تصفية الصاد؛ فتصبح كالسين؛ نحو: ﴿سَوَاءٌ الْبَصِيرُ﴾.
- ٨- عدم تسكين السين برفق في حال اجتماعها مع حروف الإطباق في كلمة واحدة؛ فتصبح صاداً بهذا الاختلاط؛ نحو: ﴿يَسْطُونَ﴾، و﴿يَسْطُورًا﴾، و﴿يَسْطُرُونَ﴾.
- ٩- استعاضة العربي عن حرف الطاء المجهور بالذال الملتوغة، والأمثلة على ذلك كثيرة كثرة ورود الحرف في كتاب الله ﷻ^(٢)!!
- ١٠- التلفظ بالصاد بما يخرجها أو يُقربها من الدال، والأمثلة على ذلك كثيرة كثرة ورود الحرف في كتاب الله ﷻ^(٣)!!
- يقول شمس الدين بن قيم الجوزية رحمه الله: ((ومن ذلك - أي: من مكاييد الشيطان - : الوسوسة في مخارج الحروف، والتتطع فيها...))

(١) ينظر: النشر في القراءات العشر (١/ ٢٥٠)، وخصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص ١٢٠.

(٢) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص ١٢٤، و ١٢٧.

(٣) ينظر: المرجع نفسه/ ص ١٥٧، و ١٥٨.

وقد كان الناس يقرأون القرآن بلغاتهم، ثمَّ خلف من بعدهم قومٌ من أهل الأُمصار وأبناء العجم ليس لهم طبع اللغة، ولا علم التكلُّف؛ فهفوا في كثيرٍ من الحروف، وذلُّوا فأخلُّوا!!^(١).

ويقول أبو الجزري رحمه الله في «النشر»: ((لا رخصة في تغيير اللفظ بالقرآن وتعويجه وأخذ اللحن سبيلاً إليه إلا عند الضرورة، قال الله ﷻ: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عَوَجٍ﴾ [سُورَةُ الْبُرُوجِ: ٢٨]))^(٢). ويقول رحمه الله: ((أول ما يجب على مُريد إتقان قراءة القرآن: تصحيح إخراج كلِّ حرفٍ من مخرجه المختص به تصحيحاً يمتاز به عن مقاربه، وتوفية كلِّ حرفٍ صفته المعروفة به توفية تخرجه عن مُجانسه، يعمل لسانه وفمه بالرياضة في ذلك إعمالاً يصير ذلك له طبعاً وسليقة.. فكلُّ حرفٍ شارك غيره في مخرج؛ فإنه لا يمتاز عن مُشاركه إلا بالصفات، وكلُّ حرفٍ شارك غيره في صفاته؛ فإنه لا يمتاز عنه إلا بالمخرج... فإذا أحكم القارئ النطق بكلِّ حرفٍ على حدِّته، مُوفِّ حقّه؛ فليعمل نفسه بإحكامه حالة التركيب؛ لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الأفراد؛ وذلك ظاهراً، فكم ممَّن يُحسن الحروف مفردة، ولا يُحسنها مركبة بحسب ما يُجاورها من مُجانس، ومُقارب، وقوي، وضعيف، ومُفخم، ومُرقق.. فيجذب القوي الضعيف، ويغلب المُفخم المُرقق؛ فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقّه إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب.. فمن أحكم صحّة اللفظ حالة التركيب؛ حصل حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب))^(٣).

ثمَّ بيّن لنا رحمه الله بـ ((أن أصل الخلل الوارد على ألسنة القراء في هذه البلاد وما ألتحق بها هو إطلاق التفخيمات والتغليظات على

(١) إغاثة اللهفان (١ / ١٦٠)، وينظر: بدع القراء القديمة والمعاصرة / ص ٤.

(٢) (١ / ٢٣٨).

(٣) النشر في القراءات العشر (١ / ٢٤١ - ٢٤٢).

طريق ألفتها الطباعات، تُلْقِيَتْ من العجم، وأعتادتها النبط، وأكتسبها بعض العرب؛ حيث لم يقفوا على الصَّواب ممن يُرجع إلى علمه، ويوثق بفضله وفهمه!! وإذا أنتهى الحالُ إلى هذا؛ فلا بدَّ من قانونٍ صحيحٍ يُرجع إليه، وميزانٍ مستقيمٍ يُعوَّل عليه ((^(١)))، وطفق بوضع البنود المُحكِّمة لهذا القانون، والكفة المتعادلة لذاك الميزان من خلال أستعراضه لأهمِّ صفات الحروف، وأهمِّ الأخطاء والأوهام التي يُمكنُ أن يقع فيها التالون لكتاب الله ﷻ.. يقول رحمه الله^(٢):

❖ ((والثاء حرفٌ ضعيفٌ، فإذا وقع ساكنها؛ فليحتفظ في بيانه؛ لا سيَّما إذا أتى بعده حرفٌ يُقاربه وقرئ بالإظهار... وكثير من العجم لا يتحفظون من بيانها؛ فيخرجونها سينا خالصة!!)).

❖ ((والجيم يجب أن يُتَحَفَّظَ بإخراجها من مخرجها؛ فربَّما خرجتُ من دون مخرجها؛ فينتشر بها اللسان؛ فتصير ممزوجةً بالشين؛ كما يفعله كثيرٌ من أهل الشام ومصر!! وربَّما نبا بها اللسان فأخرجها ممزوجةً بالكاف كما يفعله بعضُ الناس، وهو موجودٌ كثيراً في بوادي اليمن!! وإذا سكنتُ وأتى بعدها بعضُ الحروف المهموسة؛ كان الاحتراز بجهرها وشدتها أبلغ؛ نحو: ﴿اجْتَمَعُوا﴾، و﴿اجْتَبُوا﴾، و﴿اجْتَبَيْتَهَا﴾، و﴿اجْتَنَّتْ﴾، و﴿خَرَجَتْ﴾، و﴿تَجَرَّى﴾، و﴿تُجَزَوْنَ﴾، و﴿زَجْرًا﴾، و﴿رَجَسًا﴾؛ لئلا تضعف؛ فتمزج بالشين، وكذلك إذا كانت مشددة؛ نحو: ﴿الْحَجَّ﴾، و﴿أُحْكِمُوا﴾، و﴿وَحَاجَهُ﴾، و﴿لِيَجِيَّ﴾، و﴿يُوجِّهُهُ﴾؛ لأجل مُجانسةِ الياء، وخفاءِ الهاء!!)).

(١) المصدر نفسه (١/ ٢٤٢).

(٢) تنظر الأقوال أدناه في: المصدر السابق (١/ ٢٤٥ - ٢٤٩).

أما لفظُ عموم العرب المصريين اليوم للجيم (كـ)؛ فيقولون: (أَكْتَبَاكُم)، و(أَكْتَبَيْتَهَا)، و(أَكْتَبُوا)، و(تَكْتَبُوا)، و(أَكْتَبْتِ)، و(خَرَّكْتَ)، و(تَكْرِي)، و(تَكْرُونَ)، و(رَكْرَأُ)... الخ.. وتسمَّى: «الجيم القاهرية»^(١).. ❖ ((والحاء تجب العناية بإظهارها إذا وقع بعدها مُجانسُها أو مقاربها؛ لا سيمًا إذا سكنت؛ نحو: ﴿وَسَيِّحُهُ﴾؛ فكثيراً ما يقبلونها في الأول عيناً، ويُدغمونها، وكذلك يقبلون الهاء في: ﴿وَسَيِّحُهُ﴾ حاء؛ لضعف الهاء وقوة الحاء؛ فتجذبها؛ فينطقون بحاء مشددة!! وكلُّ ذلك لا يجوز إجماعاً.. كذلك يجب الاعتناء بترقيقها إذا جاورها حرفُ الاستعلاء؛ نحو: ﴿أَحَطْتُ﴾، و﴿أَلْحَقَّ﴾، فإن أكتفها حرفان؛ كان ذلك أوجب؛ نحو: ﴿حَصَّصَ﴾!!))

❖ ((والدَّال إذا كانت بدلاً من تاء؛ وجب بيانها؛ لئلاَّ يميل اللسانُ بها إلى أصلها؛ نحو: ﴿مُرَدَّجَرٌ﴾، و﴿تَزْدَرِي﴾!!))

❖ ((والذال يُعتى بإظهارها إذا سكنتُ وأتى بعدها نونٌ؛ نحو: ﴿فَبَيَّنَّهُ﴾، و﴿وَإِذْ نَقَّنا﴾.. وكذلك يُعتى بترقيقها وبيان أنفاتها وأسفلها إذا جاورها حرفٌ مُفخَمٌ؛ وإلَّا ربُّما أنقلبَتْ ظاء؛ نحو: ﴿ذَرَهُمُ﴾، و﴿أَنْذَرْتَهُمُ﴾، و﴿الْأَذْقَانِ﴾؛ ولا سيمًا في نحو: ﴿الْمُنْذِرِينَ﴾، و﴿مَحْذُورًا﴾، و﴿وَدَلَّلْتَهَا﴾؛ لئلاَّ تشبّه بنحو: ﴿الْمُنْظِرِينَ﴾، و﴿مَحْطُورًا﴾، و﴿وَضَلَّلْنَا﴾.. وبعضُ النبط ينطق بها دالاً مهملة، وبعضُ العجم يجعلها زايًا.. فليتحفظ من ذلك!!))

(١) ينظر: الجهود الصوتية للأندرابي/ ص ١٣٩، وخصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص ١٠٣ - ١١٠.

❖ ((والراء أنفرد بكونه مكرراً، صفة لازمة له لغظه.. قال سيبويه رحمه الله: «والراء إذا تكلمت بها؛ خرجت كأنها مضاعفة»^(١).. وقد توهم بعض الناس أن حقيقة التكرير: ترعيد اللسان بها المرة بعد المرة؛ فأظهر ذلك حال تشديدها؛ كما ذهب إليه بعض الأندلسيين!! والصواب التحفظ من ذلك بإخفاء تكريرها؛ كما هو مذهب المحققين.. وقد يُبالغ قومٌ في إخفاء تكريرها مُشدَّدة؛ فيأتي بها مُحصرمةً شبيهة بالطاء!! وذلك خطأ لا يجوز؛ فيجب أن يُلفظ بها مُشدَّدة تشديداً ينبو بها اللسان نبوة واحدة وأرتفاعاً واحداً من غير مُبالغة في الحصر والعسر؛ نحو: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، و﴿وَحَرَّمُوا صِعْقًا﴾.))

❖ ((والزاي يتحفظ ببيان جهرها؛ لا سيما إذا سكنت؛ نحو: ﴿تَزْدِرِي﴾، و﴿أَزْكِي﴾، و﴿رَزَقًا﴾، و﴿مُزَجَلَةٌ﴾، و﴿لَبَّرَلِقُونَكَ﴾، و﴿وَزَرَكَ﴾.. وليكن التحفظ بذلك - إذا كان مجاورها حرفاً مهموساً - آكداً؛ لئلا يقرب من السين؛ نحو: ﴿كَزَرْتُمْ﴾.))

❖ ((والسين يُعنتى ببيان أفتاحها وأستفالها إذا أتى بعدها حرف إطباق؛ لئلا تجذبها قوته؛ فتقلبها صاداً؛ نحو: ﴿بَسَطَةً﴾، و﴿مَسْطُورًا﴾، و﴿تَسَطَّعَ﴾، و﴿أَقْسَطُ﴾، وكذلك نحو: ﴿لَسَّاطَهُمْ﴾، و﴿سُلْطَنٍ﴾، و﴿سُتَوِّطَ﴾.. ويتحفظ ببيان همسها إذا أتى بعدها غير ذلك؛ نحو: ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾، و﴿مَسْجِدٍ﴾؛ فربما ضارعت في ذلك الزاي والجيم؛ نحو: ﴿أَسْرُوا﴾، و﴿يَسْبَحُونَ﴾، و﴿عَسَى﴾، و﴿قَسَمْنَا﴾؛ لئلا يشنبه بنحو: ﴿وَأَصْرُوا﴾، و﴿نُصِّحُونَ﴾، و﴿وَعَصَى﴾، و﴿قَصَمْنَا﴾!!))

❖ ((والصاد ليحترز - حال سُكونها إذا أتى بعدها تاءٌ - أن تقرب من السين؛ نحو: ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾، و﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾، أو طاءً أن تقرب من

(١) الكتاب (١/ ٣٦٦).

الزاي؛ نحو: ﴿أَصْطَفَى﴾، و﴿يَصْطَفِي﴾، أو دالٌّ أن يدخلها التشريب عند من لا يُجيزه؛ نحو: ﴿أَصْدُقُ﴾، و﴿يَصْدُرُ﴾، و﴿وَتَصْدِيَةٌ﴾. ((

❖ ((والضَّادُ ينفرد بالاستطالة، وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله؛ فإن السنة الناس فيه مُختلفة، وقلٌّ من يُحسنه؛ فمنهم من يُخرجه ظاء، ومنهم من يمزجه بالذال، ومنهم من يجعله لاماً مُفخمةً، ومنهم من يُشيمه الزاي!! وكلُّ ذلك لا يجوز... فليحذر من قلبه إلى الظاء؛ لا سيما فيما يشتهه بلفظه؛ نحو: ﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ﴾ يشتهه بقوله: ﴿ظَلَّ وَجْهَهُ مُسَوِّدًا﴾.. وليُعَمِلِ الرِّيَاضَةَ في إحكام لفظه؛ خصوصاً إذا جاوره ظاء؛ نحو: ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾، و﴿يَعْضُ الظَّالِمُ﴾، أو حرفٌ مفخَّم؛ نحو: ﴿أَرْضِ اللَّهِ﴾، أو حرفٌ يُجانس ما يشبهه؛ نحو: ﴿الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾، وكذا إذا سَكَنَ وأتى بعده حرفٌ إطباق؛ نحو: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ﴾، أو غيره؛ نحو: ﴿أَفْضُتُمْ﴾، و﴿وَأَخْفَضَ جَنَاحَكَ﴾، و﴿فِي تَصْلِيلٍ﴾. ((

❖ ((والظاء يتحفَّظ ببيانها إذا سكنت وأتى بعدها تاء؛ نحو: ﴿وَعَظَّتْ﴾. ((

❖ ((والغين يجب إظهارها عند كلِّ حرفٍ لاقاها، وذلك أكد في حرف الحلق، وحالة الإسكان أوجب، وليحترز مع ذلك من تحريكها؛ لا سيما إذا اجتمعا في كلمة واحدة.. وأمثلة ذلك نحو: ﴿يَغْشَى﴾، و﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا﴾، و﴿الْمَغْضُوبِ﴾، و﴿ضَعْنَا﴾، و﴿يَعْفِرُ﴾، و﴿فَارَغَبَ﴾، و﴿وَأَغْطَشَ﴾.. وليكن اعتناؤه بإظهار ﴿لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا﴾ أبلغ، وحرصه على سكونه أشد؛ لقرب ما بين الغين والقاف مخرجاً وصفة. ((

هذا، وقد يُؤدِّي التَّمْيِيعُ في إخراج هذا الحرف عند النطق به إلى قلبه في اللفظ خاء؛ كما في: ﴿وَتَعَشَى وَجُوهَهُمُ النَّارُ﴾، و﴿كَالَّذِي يُعْشَى عَلَيْهِ

﴿مِنَ الْمَوْتِ﴾، ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ اللَّيْمِ مَا غَشِيَهُمْ﴾، و﴿يَعَسَهُمُ الْعَذَابُ﴾، و﴿فَاعْسَلُوا
وُجُوهَكُمْ﴾، و﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾، و﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾،
و﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا عَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، و﴿لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾، و﴿الَّذِينَ هُمْ
فِي عَمْرٍو سَاهُونَ﴾، و﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَفْتَىٰ﴾، و﴿وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَّغْوُصُوكَ لَهُ﴾،
و﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾، و﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ﴾، و﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾،
و﴿فَلْيَغْيِرُوا خَلْقَ اللَّهِ﴾، و﴿بِغْيَرِ حِسَابٍ﴾، و﴿غَيْرِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾،
و﴿بِغْيَرِ نَفْسٍ﴾، و﴿بِغْيَرِ عِلْمٍ﴾، و﴿بِغْيَرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾، و﴿مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾،
و﴿بِغْيَرِ سُلْطَانٍ أَنْتَهُمْ﴾، و﴿مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾، و﴿غَيْرِ مَأْمُونٍ﴾، و﴿غَيْرِ مَلُومِينَ﴾،
و﴿لِنَفْتَرِي عَلَيْكَ غَيْرَهُ﴾... الخ (١).

وقد يحدث العكس فنقلب الخاء غيناً؛ كما في: ﴿وَرُخْرَفًا﴾،
و﴿لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾، و﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾، و﴿مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾،
و﴿لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾!!

وهناك من يقلبها - أعني الغين - أثناء التلاوة قافاً بحكم لهجته
التي أعتاد عليها؛ فيؤدِّي ذلك من غير قصدٍ من التالي إلى أخطاء وخيمة
في الألفاظ وقلبٍ ذريعٍ للمعاني، لو أدركها؛ لسارع إلى تداركها، وآب إلى
ما فيه السلامة الصواب (٢)؛ كما في: ﴿تَعْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾، و﴿اعْتَرَفَ
عُرْفَهُ بِيَدِهِ﴾، و﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾، و﴿وَالْعَوَافِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾، و﴿غَلَبَتِ الرُّومُ...
وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾، و﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرُ﴾، و﴿كَأَلْمُهَلٍ يَعْطَىٰ فِي
الْبَطُونِ ٤٥﴾ كغلي الحميم (٤٦)، و﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾، و﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ
وَأَقْنَىٰ﴾، و﴿لَا فِيهَا عِوَالٌ﴾!!

(١) ينظر: الجهود الصوتية للأندرابي/ ص ١٣٨-١٣٩.

(٢) ينظر: المرجع نفسه/ ص ١٣٨-١٣٩.

وفريق آخر يعكس الأمر؛ فيقلب القاف غيناً؛ كما في: ﴿ثُمَّ أَمَّانَهُ، فَأَقْبَرَهُ﴾، و﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾، و﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾، و﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾، و﴿وَوَطَّنَ أَهْلَهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا﴾، و﴿وَعَدَا عَلَى حَرْقَدِيرِينَ﴾، و﴿أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً﴾، و﴿وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾، و﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾، و﴿وَعَبَّأَوْضًا﴾، و﴿عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾، و﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾، و﴿كَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾، و﴿مَا يَدُلُّ الْقَوْلَ لَدَى﴾، و﴿مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾!!

هذا، و((إنَّ القاف الفصحى قد أختفت من لهجة القاهرة، وحلت محلها الهمزة، وتصدق قضية التمييز بين المستويات اللغوية المختلفة في كل البيئات اللغوية.. ففي الكويت ومناطق الخليج العربي تستخدم الياء في مقابل صوت الجيم الفصحى... ومثال ذلك: الكلمات: (جاء = يا)، و(واجد = وايد)؛ بمعنى: كثير...))^(١)، (دجاج = دياي)!!

ولئن كان علماء اللغة يعزون ذلك كله إلى الاختلاط بمختلف الشعوب الإسلامية غير العربية؛ فإنَّ هناك من يرى أنَّ منه ما يعود إلى أفنقار الحياة الحضريَّة لدواعي الصلابة وخواتمها من حوافز الهمَّة في التغلُّب على مشاقِّ الحياة ومخاطرها.. كما يعود أيضاً إلى ما عانى منه العربيُّ طوال ألف عامٍ من عصور الانحطاط والتقهقر، ولا يزال يعاني من مظاهر القلق؛ فأضاف ذلك كله وغيره إلى رخاوة صوته شيئاً من العتامة والاضطراب^(٢).

كانت تلك جوانب وعيَّات من مشكلة تغيير مخارج أصوات الحروف وكيفية النطق بها، وأثرها على مدلولات ألفاظها، المشكلة التي

(١) علم اللغة العربية، لحجازي/ ص ٢٤ - ٢٥.

(٢) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص ٢٢٣.

عانى منها علماء التجويد واللغة في القرون الهجرية الأولى؛ وهم أقرب عهداً إلى عصور اللغة الذهبية، ترتيل آيات فصيحة، ورواية أشعار بليغة، وسليقة فطرية، ولهجة بدوية بعيدة عن رطانة العجمة ورخاوة الحضر.

أما نحن اليوم؛ فقد طال الزمان بنا وبعُد؛ حتى ألفينا أنفسنا وسط متاهات اللهجات العربية، لكل قطر من الأقطار ومصر من الأمصار لهجة خاصة في التلفظ بأصوات الحروف، ولكل لهجة فروع عامية، بين حضريها وريفها وبدويها، لا بل يكاد يكون لكل مدينة وعشيرة وقريّة كيفية نطق متميزة عما سواها.. فليت شعري ما الذي تُكَنه وتخبّؤه اللهجات المحلية للبلدان العربية التالية لكتاب الله ﷺ وأهلها هم أهل اللغة الأصلاء!! فما بالك بسائر المسلمين من غير العرب ممن لا يُجيدون النطق باللسان العربيّ إلّا بمشقة وعُسر شديدين!!؟

وممّا يزيد الطين بلةً والأمر تعقيداً في الاهتداء إلى الطريقة الأصلية السليمة في التلفظ بالحروف أن معظم العرب اليوم فقدوا طابعهم الصوتيّ الأصيل.. فكيف بمن سواهم!!؟

لذا يجب أن ننزّه القرآن الكريم الذي لولاه؛ لضاع العرب منذ عصور انحطاطهم وتقهرهم، وذابوا ذوبان الجليد في هجير الصحراء في أمم ومذاهب شتى من اللغات ذات اللهجات المتباينة والمتنافرة والمتابذة.. وحرّيُّ بنا أن نربأ به عن لحن اللهجات، وأن نتلوه غضاً طرياً كما أنزل؛ فاللحن يُؤدّي - في أحيان كثيرة - إلى تغيير المعنى ونسخه - بل مسخه - إلى معانٍ أخرى بعضها مجهول، وقد يقلب المعنى أحياناً أخرى إلى الضدّ تماماً؛ كما تبين لنا من الأمثلة أعلاه!!

هذا، و ((إن تقارب الحروف في مخارجها لا يمنحها تقارباً مُماتلاً في إحياءاتها الصوتية، ولا في معانيها؛ فالحرف الشقيق إذا حلّ محلّ شقيقه في لفظ ما؛ لا تظلّ اللفظة على معنى مقارب لمعناها قبل الإبدال؛ وإنما قد يُؤدّي ذلك إلى التناقض في معانيهما أحياناً كثيرة؛ كما في حرفي

الثاء والذال، وأحرف الخاء والحاء، والباء والميم، والصاد والسين ((^(١))؛
وكما تبيننا ذلك جلياً في الشواهد والأمثلة أعلاه.

ومن أمثلة هذا التقارب - والأمثلة أكثر من أن تحصى - لفظة
«تَحَسَّسُوا» من قوله ﷺ على لسان نبيه الكريم يعقوب عليه السلام: ﴿يَبْنِيَّ
أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُونُسَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ﷻ﴾ [سُورَةُ يُوسُفَ]..
إنَّ معنى: «تَحَسَّسُوا» هو: «تَعَرَّفُوا»، وقُرئت: «فَتَجَسَّسُوا»^(٢)، ويكون
معناها حينئذٍ من الجسِّ؛ وهو الطلب؛ أي: تَطَلَّبُوا.. فاختلافُ الصَّوْتَيْنِ
بين الجيم والحاء أدَّى إلى أختلاف دلالة اللفظة؛ فـ«التَحَسُّسُ» هو
التعرُّفُ، ويستعمل غالباً في جانب الخير.. و«التَجَسُّسُ» هو التَبَحُّثُ
والتَطَلُّبُ في جانب الشر^(٣).

ومن الآفات العديدة الأخرى التي تسرَّبت إلى لغة الوحي الحكيم:
تلك الحملات المحمومة التي تصطبغ بصبغاتٍ مغرصة وأخرى متهاونة
في التعامل مع حروفها، يتمثَّل ذلك جلياً بعشواء الأشعار الشعبية ذات
اللغات التُمَيِّعة والمُنكسرة التي لا تعرف إلى الضَّاد مسلماً ولا تهتدي إليه
سيلاً!! ومنها أيضاً: ما يشيع اليوم في وسائل الإعلام المنطوقة
والمقروءة من لغاتٍ مُترهِّلة تعمل عملها الهدَّام كمعاول تنخر في أساس
حروف الوحي ولغته الرِّصينة!! ومنها أيضاً: كمُّ المُلصقات والإعلانات
المكتوبة ودعايات البضائع والمنتجات التي تعجُّ بها الطرقات ذات اليمين
وذاوات الشمال... الخ!!

(١) معاني الحروف العربية على واقع المعاجم اللغوية/ ص ٥٣ - ٥٤.

(٢) وهي قراءة الحسن البصري رحمه الله [ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ
القراءات والإيضاح عنها (٢/ ١٩١)، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات
الأربعة عشر/ ص ٣٥٩].

(٣) ينظر: مختصر في شواذ القراءات/ ص ٦٥، ولسان العرب (٣/ ٣٨)، و(٦/
٥٠)، وإرشاد العقل السليم (٤/ ٣٠٢).

وهكذا؛ فقد تسرّبت الرخاوة إلى صوت الإنسان العربيّ في عصور الانحطاط ودبّ التميّع فيه؛ فبهت رنينه، وخبأ بريقه؛ لتتراجع مخارج كثيرٍ من أصوات حروفنا القهقري، وتنطمس أصداؤها ومُحياتها الصّوتية العذبة في الأسماع.. وما لم يتحرّر العربيُّ من قلقه وترفه وخنوعه وريائه، فيجهرَ بصوته عالياً بأرائه ومعتقداته؛ فلنْ يستقيم له عُودٌ، ولن يقوم له عمود، ولن يستعيد صحّة نطقه وعافية لسانه أبداً؛ مصداقاً لقوله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ].

فاللغة العربية إنما هي لغة الحرّيّة والأحرار، لا لغة الإمّعات.. ولا بدّ من الذبّ عنها والذود عن حماها من الرّابضين على تخومها من دُعاة التغيير.. كما لا بدّ من توفية مخارج حروفها، والترنّم بها، وترديد أصداء صاداتها الصّقيلة، وعيناتها الناصعة، وضاداتها النضيرة، وراءاتها الرشيقة، ونوناتها الأنيقة... حقوقها الوافية من الصّفات والمخارج، ومقاماتها السامية من التلطف والنطق^(١).

(١) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص ٢٢٢ - ٢٢٤.

خاتمة البحث

يطيبُ لي بعد تلك الرحلة الموجزة بين أفنان حُرُوف الوحي أن أُوجز ما بسطته في أثناء هذا البحث؛ من خلال خلاصةٍ دالَّةٍ على أهمِّ النتائج التي توصلتُ إليها في أثنائه:

❁ كما يشتمل هذا الدِّينُ القويم على كَلِّياتٍ ومَسائلٍ أساسيةٍ ثابتةٍ لا تقبل التغيُّر والتبَدُّل؛ فكذلك الحال بالنسبة للغة هذا الدِّين؛ فإنَّ فيها مسائلَ أساسيةٍ لا تتسع لقضايا التبدُّل؛ وإلَّا كانت عُرْضةً للْبُغاة وهدفاً لمن هبَّ ودبَّ من الرُّماة، وتأتي الحروف التي تأتلف منها كلماتُ تلك اللغة وجملها وتراكيبها في مقدِّمة البنود التي تتسم بذلك الثبات العتيد.

❁ تخضع اللغة الإنسانية لسُنَّة التطوُّر العامِّ؛ إذ تتغيَّر، وتتمو مع نموِّ الفكر وتقدُّم الزمن، وتتكاثر مثل أيِّ كائنٍ حيٍّ - بعدَّها واحداً من سائر الأحياء التي تدبُّ على سطح تلك البسيطة -؛ وذلك النموُّ والتكاثر إنما يكون بما يُستحدث فيها من أساليب جديدة في التعبير، وما ينضافُ إلى رصيدها من كلماتٍ أو ألفاظٍ جديدةٍ تدخل في الاستعمال بطريقةٍ أو بأخرى؛ فتغنى وتتنوَّر.

❁ تعدُّ لغتنا العربية من أكثر لغات الأرض - إن لم تكن أكثرها - تطوراً في تقاليد مفرداتها، ودلالات ألفاظها.. ومع كلِّ تلك التقلُّبات والتبدُّلات؛ فقد حُفَّت تلك اللغة الخالدة من بين سائر لغات الأرض بعنايةٍ إلهيةٍ؛ فخرجت مُعافاةً قد حافظتُ على قلبها الرئيس الذي صُبَّت فيه منذ البداية.

❁ لقد صارت اللغة العربية الفصحى - وهي لغةٌ مُوحَّدة - بفضل القرآن الكريم مفتاحاً إلى الماضي العربيِّ بكلِّ جوانبه المُشرقة.

❁ يُمثِّل ثباتُ أصوات لغتنا العربية خلال تاريخها الطويل ظاهرةً تثير الإعجابَ والدهشة والإكبار إذا ما قورن بما يحدث لأصوات اللغات العالمية الأخرى، والسببُ في ذلك: سعة مدَّرجها الصَّوتيِّ.. ولكنَّ

هذا الثبات العريق لأصوات تلك اللغة الخالدة لم يقف حائلاً دون حدوث بعض التبدلات الصوتية الضمنية الحاصلة هنا وهناك في نطق بعض الحروف.

❁ على أساس التبدلات الصوتية التي تنتاب لغتنا العربية؛ وجدت الثغرة التي تعالت منها أصوات بعض الباحثين الداعية إلى حذف بعض حروفها من رسمنا الكتابي العربي، أو تغييرها، أو دمجها بغيرها، كالضاد مثلاً؛ لأنه - بحسب رأيهم - ليس حرفاً مختصاً بالعرب وهدمهم، وهم يرون أنه لغزٌ محيرٌ؛ لأنه حرفٌ مُعقّد، بعيد عن الأصوات الطبيعية، أو أنه صوتٌ مجهول، مُلتبس بغيره؛ لذا غدا - في نظرهم - شبحاً لحرفٍ مفقود بات يُورقهم، ومن الأفضل طرحه وإلغاؤه والتخلّص منه!!

❁ من حاول النفاذ إلى سياج لغتنا المنيع بذريعة تيسير قواعد رسم الحروف وطرق النطق بالكلمات، وتحت غطاء البحث العلمي المُجرد؛ فليتنح عنه؛ فإنّ للغة أهلاً هم أبصرُ بمواطن الفائدة ومكان النفع، وله في لغته الميدان الفسيح لتطبيق تجاربه وإنفاذ مآربه إن رام ذلك.

❁ إنّ التغيير أو التلاعب بأيّ حرفٍ من حروف اللغة سيؤدّي حتماً إلى تغيير رسمه ولو بالتدريج، ولو كان الرسمُ عرضةً للتغيير تبعاً لتغيّر أصوات الكلمات؛ لغدت كتابة كلِّ جيلٍ غريبة، مُنبتة عن الأجيال اللاحقة له، واحتاج الناسُ في كلِّ عصرٍ أو مصرٍ إلى تعلُّم طرائق النطق، والإلمام بحالة اللغة في العصور السّابقة لهم؛ كيما يتمكنوا من الانتفاع بما خلفه أسلافهم لهم!!

❁ إنّ أيّ تغييرٍ أو تلاعبٍ بأيّ حرفٍ من حروف الوحي من ناحية النطق أو الصّفة أو المخرج سيُفضي حتماً إلى تغيير دلّالته ومسّخها إلى معنىٍ أو معانٍ غير مُراداةٍ ابتداءً من التنزيل الحكيم، وقد يقلب

معناها إلى الضدّ تماماً؛ عنى التالي لكتاب الله ﷺ ذلك، أم وقع منه جهلاً أو سهواً أو تراخياً أو غفلة!! فينبغي الحذر الشديد والتنبّه والتيقظ لهذا الأمر الخطير!!

✿ إنَّ السبب الرئيس وراء مسألة كون الرّسم القرآنيّ الشريف توقيفياً؛ إذ لم يُمنح أحدٌ الحقّ في إجراء أيّ تعديلٍ أو تغييرٍ عليه.. يكمن وراء تلافى الاختلافات وتعدّد الآراء وتباين وجهات النظر التي لا حدّاً لحدها، ولا قبلَ لردّها، والترفع عما قد يعتري العربية المكتوفة لحروف الوحي الحكيم من النسخ والمسح.. وبالتالي الحفاظ على النصّ الكريم ولغته المقدّسة في آنٍ واحد من دهم شبح الفوارق والطوارق.

✿ إنَّ تقارب الحروف في مخرجها لا يمنحها تقارباً مُمثلاً في إحياءاتها الصوّتية، ولا في معانيها؛ فالحرف الشقيق إذا حلّ محلّ شقيقه في لفظة ما؛ لا تظلّ اللفظة على معنىٍ مقاربٍ لمعناها قبل الإبدال؛ وإنما قد يؤدي ذلك إلى التناقض في معانيهما أحياناً كثيرة؛ كما مثلنا آنفاً في حرفي الثاء والذال، وأحرف الخاء والحاء، والباء والميم، والصاد والسين، والغين والحاء، والغين والقاف... الخ.

✿ لا يخفى ما في ثبات رسم الحروف العربية على حالته الأولى - أو ما يقرب منها - من فوائد جمّة؛ فهو يوحّد شكل الكتابة في مختلف العصور، وييسّر تناقل اللغة، ويُمكّن الناس في كلّ عصرٍ من الانتفاع بمؤلّفات أسلافهم وأثارهم، ويسدي للباحث والمُنقّب في علم اللغات وتاريخها خدمةً جليّة عبر ما يعرضه له من الصُّور الصّحيحة والأمانة لأصُول الكلمات، وما يُوقفه على ما كانت عليه أصواتها في أقدم عصور اللغة.. فالرّسم للألفاظ أشبهُ شيءٍ من هذه الناحية بالمتحف للآثار.

❁ إذا ما حاولنا تقريبَ الرَّسْمِ الكتابيِّ العربيِّ أو مُطابقتَه مع نطقنا للحروف العربية في كلِّ جيلٍ يخرج عن نطق أسلافه أو يُخالفه - كما يفعل أصحابُ اللغات الأخرى - ؛ لضلَّ الحرف العربيِّ وضاع وسط تلك المتاهات، ولاندرست معالمُه، وأصبحت الكتابة مثلَ أثواب النساء: مُتغيِّرة بحسب [الموضحة] مع كلِّ جيلٍ!!

❁ يختلف الحدثُ اللغويُّ المنطوق نوعاً ما عن رمزه المكتوب، والعربية لم تكن بدعاً من اللغات؛ وإن أمتلك واقعاً تاريخياً جعلها تنماز عن سائر اللغات العالمية، جعلها كشجرةٍ عظيمة تضرب بجذورها في أعماق الأرض، وتنمو أغصانها وتمتدُّ في كلِّ اتجاه، وهي ثابتة في موضعها لا تبرحُه.

❁ يعدُّ التطوُّر اللغويُّ في جانب الصَّوت أسرعَ وأكثر تنوعاً من تطوُّرها في جوانب الصَّيغ، والنحو، والمفردات، والأساليب.. والسبب هو أنَّ الجانب المنطوق في اللغة يُمارَسُ بحرية أكثر من الجانب المكتوب، فضلاً عن أنَّ اللغة تصادفُ في تركيباتها وتجمُّعاتها الصَّوتية ظروفًا سياقية لا تظهر في الكلام المكتوب؛ ولهذا ينفصلُ الصَّوتُ عن صورته، ويتطوَّر دونها.

❁ إنَّ مفاهيم الناس للأشياء ليست هي التي تصنع الحقائق؛ بل تقتصر وظيفتها في العمل على إدراكها فحسب؛ حتى تكون صورة تلك الحقائق فيها مُطابقة تماماً لما هي عليه في الواقع.. وإنَّ فساد مفاهيم الناس حول حقيقة ما من حقائق المعرفة لا يُغيِّر من واقع حال هذه الحقيقة شيئاً، وما أكثر حقائق المعرفة التي تتعرَّض لمشاكل فساد مفاهيم الناس عنها، وفساد تصوُّر الناس لها دونما أن تتأثر بذلك أو أن تميد مع رياحها!! إنَّ قصور النظر الكليل إلى الواقع لا يُغيِّر من كمال الواقع شيئاً!!

❁ لولا أنّ الإسلام حقُّ بذاته، مُؤيِّد بتأييد الله ﷻ، محفوظ بحفظه؛ لم تبق منه بقية تصارع قوى الشرِّ في الأرض التي ما تركتُ سبيلاً لكيده والمكر به إلّا سلكته، ولا سبباً لإخماد جذوته وإطفاء نوره ودرّس معالم لغته إلّا تبنته وأخذتُ به!!

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أباطيل وأسمار: محمود محمد شاكر/ مكتبة الخانجي (القاهرة)، (ب. ت).
- ٣- الأجدية العربية متكاملة وصالحة: أ. د. أحمد نصيف الجنابي/ بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي/ المجلد (٣١)، ج ٣ - شعبان ١٤٠٠هـ/ تموز ١٩٨٠م.
- ٤- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ويُسمّى: «منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات»: شهاب الدين أحمد بن عبد الغني الدميّطي، الشهير بـ«البناء»، (ت ١١١٧هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- ٥- الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء: لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين/ مطبعة العاني (بغداد)، ط ١، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.
- ٦- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، الشهير بـ«تفسير أبي السُّعود»: محمد بن مصطفى العمادي (ت ٩٨٢هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ٣، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- ٧- أزمة التعبير بين العامية والفصحى: إبراهيم الأبياري، ورضوان إبراهيم/ دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية)، ط ٢، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- ٨- الإسلام والكتابة العربية: أ. د. حسام سعيد النعيمي/ بحث منشور في مجلة الضاد (ج ٣)، ذو الحجة ١٤٠٩هـ/ آب ١٩٨٩م.
- ٩- أصوات العربية بين التحوّل والثبات: أ. د. حسام سعيد النعيمي/ دار الكتب (الموصل)، ط ١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

- ١٠ - الأصوات اللغوية: أ. د. إبراهيم أنيس/ مكتبة الأنجلو مصرية (القاهرة)، ط ٥، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ١١ - الاعتماد في نظائر الظاء والضاد: أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الجبائي (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: أ. د. حاتم صالح الضامن/ مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط ١، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ١٢ - إغاثة اللفهان من مصيد الشيطان: ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي/ دار المعرفة (بيروت)، ط ٢، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- ١٣ - إيضاح الوقف والابتداء: أبو بكر الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: محيي الدين رمضان، نشر: مجمع اللغة العربية بدمشق، ط ١، ١٣٩٣هـ.
- ١٤ - البحث الدلالي في «إرشاد العقل السليم»، لأبي السعود العمادي (ت ٩٨٢هـ)، «أطروحة دكتوراه»: زينب عبد الحسين بلال السلطاني، إشراف: أ. د. كريم حسين ناصح الخالدي/ جامعة بغداد - كلية التربية للبنات (قسم اللغة العربية)، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- ١٥ - بدع القراء القديمة والمعاصرة: بكر بن عبد الله أبو زيد/ عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).
- ١٦ - بغية عباد الرحمن لتحقيق تجويد القرآن في رواية حفص بن سليمان من طريق الشاطبية: محمد بن شحادة الغول/ دار ابن القيم (الرياض)، ط ٥، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- ١٧ - تاج العروس من جواهر القاموس: أبو الفيض مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، دار الفكر (بيروت)، (ب. ت).

- ١٨- تحت راية القرآن - المعركة بين القديم والجديد: الأستاذ مصطفى صادق الرافعي (ت ١٣٥٦هـ)، المكتبة العصرية (بيروت)، ط ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- ١٩- الترادف في اللغة «رسالة ماجستير»: حاكم مالك لحبيبي الزيايدي/ إشراف: أ. د. إبراهيم السامرائي، كلية الآداب - جامعة بغداد/ تشرين الثاني ١٩٧٦م، دار الحرية (بغداد)، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- ٢٠- التشكيل الصوتي في اللغة العربية (فونولوجيا العربية): د. سلمان حسن العاني، ترجمة: د. ياسر الملاح، مراجعة: د. محمد محمود غالي/ دار البلاد (جدة)، ط ١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٢١- التمهيد في علم التجويد: أبى الجزري (٨٣٣هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد/ مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط ١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- ٢٢- التنبيه على اللحن الخفي: أبو طاهر هاشم بن أحمد الخطيب (ت ٥٧٧هـ)، تقديم وتحقيق: د. غانم قدوري الحمد/ مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد ٣٦ - الجزء ٢)، سؤال ١٤٠٥هـ / حزيران ١٩٨٥م.
- ٢٣- تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، الهروي (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي، والأستاذ محمد فرح العفدة/ مراجعة: الأستاذ محمد علي البيجاوي، (بلا معلومات نشر).
- ٢٤- التوجيه الصوتي في دراسة النحو العربي «علامات الإعراب والبناء أنموذجاً» «أطروحة دكتوراه»: عقيل رحيم علي اللامي، إشراف: أ. د. محمد ضاري حمادي/ جامعة بغداد - كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

- ٢٥- الجهود الصَوْتِيَّة للأندرابي (توفي بعد ٥٠٠هـ) في كتابه: «الإيضاح في القراءات العشر» - دراسة موازنة «رسالة ماجستير»: أحمد خضير محمد خالد الجبوري، إشراف: د. جمعة حسين محمد البياتي/ جامعة تكريت - كلية التربية (قسم اللغة العربية)، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- ٢٦- حُصُونًا مُهَدَّدَةٌ من داخلها: د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط٦، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- ٢٧- الحفاظ على سلامة اللغة العربية: أ. د. أحمد مطلوب/ بحث منشور في مجلة الضَّاد (ج٣)، ذو الحِجَّة ١٤٠٩هـ / آب ١٩٨٩م.
- ٢٨- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي النَّجَّار/ دار الكتب (القاهرة)، ١٣٧١هـ.
- ٢٩- خصائص الحروف العربية ومعانيها: د. حسن عباس/ عن موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت، مكتبة الأسد (دمشق)، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- ٣٠- دراسات في فقه اللغة: أ. د. صبحي الصَّالح (ت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م)، دار العلم للملايين (بيروت)، ط٣ عشرة / ١٩٩٧م.
- ٣١- الدراسات اللغوية عند عبد الرحمن أيوب «رسالة ماجستير»: حيدر محمد جبر العبودي، إشراف: أ. د. محمد ضاري حمادي/ جامعة بغداد - كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، شعبان ١٤٢٦هـ / أيلول ٢٠٠٥م.
- ٣٢- دراسة الصَوْت اللغوي: أ. د. أحمد مختار عمر/ عالم الكتب (القاهرة)، ط١، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.

- ٣٣- زينة الفُضلاء في الفرق بين الضاد والظاء: أبو البركات الأنصاري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: أ. د. رمضان عبد التَّوَّاب/ دار المعرفة (بيروت)، الطبعة الأولى، ١٩٧١م.
- ٣٤- ستبقى العربية لغة الضاد: د. علي جاسم سلمان/ بحث منشور في مجلَّة الضَّاد (ج ٤)، ذو الحجَّة ١٤١٠هـ/ تموز ١٩٩٠م.
- ٣٥- سرُّ صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق د. حسن هندراوي/ دار القلم (دمشق)، ط ١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- ٣٦- الصَّاح «تاج اللغة وصحاح العربية»: أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: الأستاذ أحمد عبد الغفور عَطَّار/ دار العلم للملايين (بيروت)، ط ١، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
- ٣٧- طرق تنمية الألفاظ في اللغة «مُحاضرات أُلقيت في قسم البحوث والدراسات الأدبية واللغوية بالقاهرة»: أ. د. إبراهيم أنيس/ مطبعة النهضة الجديدة (القاهرة)، (ب. ت).
- ٣٨- الظاءات القرآنية: أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)، تحقيق: د. علي حسين البواب/ مكتبة المعارف (الرياض)، ط ١، ١٤٠٦هـ.
- ٣٩- العربية أهي لغة الضَّاد أم لغة الظاء؟! مقال بقلم أ. د. مصطفى كامل الشيبلي/ منشور في جريدة العراق البغدادية (٢٣/ ٣/ ١٩٨٨م).
- ٤٠- علم اللغة: أ. د. علي عبد الواحد وافي/ دار نهضة مصر (القاهرة)، ط ٧، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- ٤١- علم اللغة العربية «Linguistics» - مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية: أ. د. محمود فهمي حجازي/ دار غريب (القاهرة)، ط ١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

- ٤٢ - عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ «مُعجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم»: أبو العبّاس شهاب الدّين أحمد بن يوسف بن عبد الدّائم السّمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السّود/ دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
- ٤٣ - العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: الأستاذ الدكتور مهدي المخزومي، والأستاذ الدكتور الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي/ دار الرشيد (بغداد)، ١٩٨٠، و ١٩٨١، و ١٩٨٢م.
- ٤٤ - الغارة على العالم الإسلامي: أ. ل. شاتليه، ترجمة: مُحب الدّين الخطيب ومساعد اليافي/ المطبعة السلفية، ط ٣، ١٣٨٥هـ.
- ٤٥ - الفرق بين الحروف الخمسة: أبْن السّيد البَطْلِيُّوسِي (ت ٥٢١هـ)، تحقيق: أ. د. علي عبد الحسين زوين، مطبعة العاني (بغداد)، ط ١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ٤٦ - فقه اللغة: أ. د. عبد الحسين المبارك/ مطبعة جامعة البصرة، ط ١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- ٤٧ - فقه اللغة العربية: أ. د. غاصد ياسر حسين الزيدي (ت ١٤٢٩هـ)، دار الكتب (جامعة الموصل)، ط ١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ٤٨ - في فقه اللغة وقضايا العربية: أ. د. سميح أبو مغلي/ دار مجدلاوي (عمان)، ط ١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ٤٩ - قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام، أبيدوا أهله، الأستاذ جلال العالم/ دار المعارف (القاهرة)، ط ٢، ١٣٩٥هـ.
- ٥٠ - كتاب سيبويه: أبو البشّر عمّرو بن عثمان، المُلقّب بـ«سيبويه» (ت ١٨٠هـ)، طبعة بولاق (القاهرة)، ١٣١٧هـ.

- ٥١- كلام العرب - من قضايا العربية: د. حسن ظاظا/ دار النهضة العربية (بيروت)، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
- ٥٢- كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني/ دار القلم (دمشق)، (بيروت)، ط٢، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- ٥٣- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ)، دار الفكر (بيروت)، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- ٥٤- اللسان العربي مظهر لغوي للمعجزة الإلهية الخالدة (القرآن الكريم): د. هادي نهر/ بحث منشور في مجلة الضاد - الجزء الرابع، ذو الحجة ١٤١٠هـ/ تموز ١٩٩٠م.
- ٥٥- اللغة العربية - معناها ومبناها: أ. د. تمام حسّان/ الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة)، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- ٥٦- اللغة العربية ومكانتها بين اللغات: أ. د. فرحان السليم/ عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).
- ٥٧- لماذا يدعون إلى تغيير الحرف العربي؟! أ. د. رشيد عبد الرحمن العبيدي (ت ١٤٢٨هـ)، بحث منشور في مجلة الضاد - ج٣، ذو الحجة ١٤٠٩هـ/ آب ١٩٨٩م.
- ٥٨- ما وقع في القرآن الكريم من الظاء: سليمان بن أبي القاسم التميمي السرقوسي/ تحقيق: د. علي حسين البواب/ عن مجلة البحوث الإسلامية - العدد (٢١).
- ٥٩- مباحث في علم اللغة واللسانيات: أ. د. رشيد عبد الرحمن العبيدي/ دار الشؤون الثقافية (بغداد)، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

- ٦٠- مجلّة الضّاد «تصدر عن الهيئة العليا للعناية باللغة العربية في جمهورية العراق»: رئيس التحرير: أ. د. أحمد مطلوب/ ج٣، ذو الحجّة ١٤٠٩هـ/ آب ١٩٨٩م، وج٤، ذو الحجّة ١٤١٠هـ/ تموز ١٩٩٠م.
- ٦١- المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: الأستاذ علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الحلیم النجار، والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي/ دار سزكين (أسطنبول)، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- ٦٢- المحكم والمُحيط الأعظم: أبو الحسن بن سيده (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي/ دار الكتب العلمية (بيروت)، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- ٦٣- مختصر في شواذ القراءات من كتاب «البدیع»، المطبوع خطأ بعنوان «مختصر في شواذ القرآن»: ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، نشر: المستشرق الألماني اللغوي د. ج. برجستراسر (G. Bergstraesser)، مكتبة المتنبّي (القاهرة)، (ب. ت).
- ٦٤- مختصر في الفرق بين الضّاد والظاء: نشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين/ مطبعة العاني (بغداد)، ط١، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.
- ٦٥- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: أ. د. رمضان عبد التّوّاب/ مكتبة الخانجي (القاهرة)، ط٣، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- ٦٦- معاني الحروف العربية على واقع المعاجم اللغوية: د. حسن عباس/ موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت، مكتبة الأسد (دمشق)، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

- ٦٧- المفردات في غريب القرآن: الرَّاغِب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي/ دار القلم (دمشق)، والدار الشامية (بيروت)، ط٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.
- ٦٨- مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، الرازي (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون/ دار الفكر (بيروت)، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- ٦٩- من أسرار اللغة: أ. د. إبراهيم أنيس/ مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة)، ط٧، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- ٧٠- منهج البحث الصوتي عند العرب: أ. د. محمد حسين علي الصغير/ بحث منشور في مجلّة الضّاد - الجزء الثالث، ذو الحجّة ١٤٠٩هـ/ آب ١٩٨٩م.
- ٧١- المنهج الصوتي للبنية العربية - رؤية جديدة في الصّرف العربي: أ. د. عبد الصبور شاهين/ مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- ٧٢- النشر في القراءات العشر: شمس الدّين بن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، أشرف وتصحيح ومراجعة: الشيخ علي محمد الضّبّاع، المكتب المصري الحديث، مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر (القاهرة)، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

